المجلس البابوي
لدعم الوحدة المسيحية

الاتحاد
اللوثري العالمي

من النزاع إلى الشركة

إحياء ذكرى الإصلاح المشترك اللوثري – الكاثوليكي في عام ٢٠١٧

تقرير اللجنة اللوثرية – الكاثوليكية المشتركة حول الوحدة

المجلس البابوي لدعم الوحدة المسيحية الاتحاد اللوثري العالمي

من النزاع إلى الشركة

إحياء ذكرى الإصلاح المشترك اللوثري- الكاثوليكي في عام ٢٠١٧

تقرير اللجنة اللوثرية- الكاثوليكية المشتركة حول الوحدة

من النزاع إلى الشركة – الترجمة العربية

قامت الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأراضي المقدسة بترجمة وثيقة "من النزاع إلى الشركة" إلى اللغة العربية. وقام بالترجمة مجموعة من المترجمين وذلك تحت إشراف وتدقيق سيادة المطران منيب يونان وبمراجعة لاهوتية من القس الدكتور منذر اسحق. كما وراجعها من الكنيسة اللاتينية في القدس غبطة البطريرك ميشيل صباح الجزيل الاحترام.

الفهرس	الصفحة

التقديم	٩
التقديم	١٠
المقدمة	١٢
الفصل الأول – إحياء ذكرى الإصلاح (٤ – ١٥)	١٣
الطابع الخاص للذكريات السابقة	١٣
إحياء الذكرى المسكونية الأولى	١٤
الاحتفال بالذكرى في سياق العولمة والعلمانية	١٥
تحديات جديدة للذكرى عام ٢٠١٧	١٦
الفصل الثاني – نظرة جديدة الى مارتن لوثر والإصلاح (١٦ – ٣٤)	١٧
مساهمات الأبحاث العلمية عن العصور الوسطى	١٧
أبحاث كاثوليكية في القرن العشرين حول لوثر	١٨
المشاريع المسكونية تهيء الطريق للإجماع	٢٠
تطورات كاثوليكية	٢٠
التطورات اللوثرية	٢٢
أهمية الحوارات المسكونية	٢٢
الفصل الثالث – عرض تاريخي للإصلاح اللوثري والردّ الكاثوليكي (٣٥ – ٩٠)	٢٤
ما معنى الإصلاح؟	٢٤
اشتعال قضية الإصلاح: الجدل حول الغفرانات	٢٦
تقديم لوثر إلى المحكمة	٢٦
لقاءات فاشلة	٢٨
إدانة مارتن لوثر	٢٨
سلطة الكتاب المقدس	٢٩
لوثر في فورمس (Worms)	٣٠
بدايات حركة الإصلاح	٣١
الحاجة الى المراقبة	٣٢

تقديم الكتاب المقدس إلى الشعب ٣٢
التعليم المسيحي والترانيم ٣٢
خدام الرعايا ٣٣
المحاولات اللاهوتية للتغلب على الصراع الديني ٣٤
الحرب الدينية وصلح أوغسبرغ ٣٥
مجمع ترنتو ٣٦
الكتاب المقدس والتقليد ٣٧
التبرير ٣٨
الأسرار المقدسة ٣٨
الإصلاحات الرعوية ٣٩
النتائج ٤٠
المجمع الفاتيكاني الثاني ٤٠
الفصل الرابع – مواضيع أساسية في لاهوت مارتن لوثر في ضوء الحوار اللوثري – الكاثوليكي (٩١ – ٢١٨) ٤٢
البناء الهيكلي لهذا الفصل ٤٢
إرث مارتن لوثر المتصل بالعصور الوسطى ٤٣
اللاهوت الرهباني والتصوفي ٤٤
التبرير – مفهوم لوثر ٤٥
كلمة الله بمنزلة الوعد ٤٦
بالمسيح وحده ٤٧
أهمية الناموس ٤٨
الاشتراك في برّ المسيح ٤٨
الناموس والإنجيل ٤٩
الموقف الكاثوليكي المتعلق بعقيدة التبرير ٥٠
الحوار اللوثري الكاثوليكي حول التبرير ٥١
بالنعمة وحدها ٥٢
الإيمان والأعمال الصالحة ٥٣
خاطىء ومبرّر في آن واحد ٥٥

الإفخارستيا – كيف فهم لوثر العشاء الرباني ٥٦
حضور المسيح الحقيقي ٥٧
الذبيحة الإفخارستية ٥٨
الفكر الكاثوليكي في الإفخارستيا ٥٩
الحوار اللوثري الكاثوليكي حول الإفخارستيا ٦٠
الفهم المشترك للحضور الحقيقي للمسيح ٦٠
التقارب في مفهوم الذبيحة الإفخارستية ٦١
التناول تحت العنصرين ورتبة الخدمة الإفخارستية ٦٢
الخدمة الكنسية – فهم لوثر لكهنوت المعمّدين العام ولخدمة المرسومين ٦٣
الأساس الإلهي للخدمة (القسوسية) ٦٤
رتبة الأسقف ٦٦
الرأي الكاثوليكي في الكهنوت العام والرسامة ٦٧
الحوار اللوثري – الكاثوليكي حول الخدمة ٦٨
الفهم المشترك للرسامة – كهنوت المعمّدين ٦٨
المصدر الإلهي للرسامة ٦٩
خدمة الكلمة والأسرار ٦٩
طقسُ الرسامة ٧٠
الخدمة المحلّية والإقليمية ٧٠
الخلافة الرسولية ٧١
خدمة الكنيسة الجامعة ٧١
الاختلافات في فهم خدمة الرسامة– رتبة الأسقفية (أو الإشراف) ٧٢
رتبة الكهنوت ٧٣
كمال علامة السرّ المقدس ٧٣
الخدمة على مستوى المسكونة ٧٤
أمور للأخذ بعين الاعتبار ٧٤
الكتاب المقدس والتقليد – فهم وتفسير لوثر للكتاب المقدس والتقليد البشري ٧٥
الكنيسة الكاثوليكية: الكتاب المقدس والتقليد والسلطة ٧٨
الحوار الكاثوليكي حول الكتاب المقدس والتقليد ٧٩

الكتاب المقدس والتقليد ٨٠
التطلّع إلى الأمام: الإنجيل والكنيسة ٨١
الكنيسة في التقليد اللوثري ٨١
الكنيسة في التقليد الكاثوليكي ٨٢
نحو الإجماع ٨٣
الفصل الخامس – مدعوون إلى إحياء ذكرى مشتركة (٢١٩– ٢٣٧) ٨٤
المعمودية: أساس الوحدة وإحياء الذكرى المشتركة ٨٤
الفصل السادس – خمسة أمور تفرضها علينا الحركة المسكونية (٢٣٨ – ٢٤٥) ٩١

باسم الآب والابن والروح القدس. آمين.

نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تبقى معكم وتستمر فيكم من الآن والى الأبد. آمين.

التقديم:

نقدم هذا الكتاب إلى القارئ العربي وهو نتيجة حوار ناضج متقدم بين الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية.

انه حصاد ثمر الحوار الذي قمنا به بين الفاتيكان والاتحاد اللوثري العالمي. وبما أننا نحتفل بخمسمئة عام للإصلاح، فإننا نلقي الضوء في هذا الكتاب على الاصلاح من وجهة نظر كاثوليكية ومن وجهة نظر لوثرية. وإن دلَّ ذلك على شيء، فإنما يدل أن الكنيستين الشقيقتين قد عقدتا العزم على فهم الآخر، ورؤية وجه المسيح في الآخر، والاعتراف المشترك بأخطاء التاريخ. ولكن أخطاء التاريخ لا تحبسنا في الماضي البعيد، وانما تطلب من الروح القدس أن يجددنا وأن يصّلح كَنيستّه الواحدة الرسولية الجامعة. ليس الهدف من الحوار أن نجتمع تحت ادارة كنيسة واحدة. انما الهدف أن ندرك أننا جميعاً أعضاء في جسد المسيح الواحد وأن نرى اخلاص الكنيستين اللوثرية والكاثوليكية في حمل انجيل المحبة التي تنبع من صلب المسيح إلى اعضائها.

والهدف أن نطلب من الروح القدس أن يجددنا لنرى ما هي الخطوات القادمة التي يقودنا بها الروح القدس ليجددنا لأن الكنيسة الحية هي كنيسة تستمر في الاصلاح والتجديد كما قال المسيح: "اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ". (انجيل يوحنا ٣ : ٨).

أن الاتفاق على هذا الكتاب يركز على أن ما يجمعنا اليوم في جسد المسيح هو سر المعمودية المقدسة. ولذا، نطلب من كل من يقرأه أن يركز على الخمسة فرائض التي تفرضها علينا هذه العلاقة.

فليبارك الرب الاله هذه العلاقة المميّزة لتقودنا لهدف ما كتبه بولس الرسول "مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ". (افسس ٤: ٣)

المطران د. منيب أ. يونان
مطران الكنيسة الإنجيليّة اللوثريّة
في الأردن والأراضي المقدّسة
رئيس الاتحاد اللوثري العالمي

التقديم

صراع مارتن لوثر "مع الله" حدّد شخصيته ووجهة كل حياته. طالما عذبه السؤال: كيف أستطيع ان أجد إلهاً رحيما؟ ثم ما لبث أن وجد هذا الإله الرحيم في إنجيل يسوع المسيح."إن اللاهوت الحق ومعرفة الله هما في المسيح المصلوب" (مناظرة هايدلبرج).

سينظر بالطبع المسيحيون الكاثوليك واللوثريون سنة ٢٠١٧ إلى الوراء إلى الأحداث التي جرت قبل ٥٠٠ عام من خلال إنجيل يسوع المسيح واعتباره هو المحور. يجب الإشادة بالإنجيل وتبليغه إلى الناس في زمننا كي يؤمن العالم أن الله يهب نفسه للبشر وأنه يدعونا إلى حياة شركة معه ومع كنيسته. وهنا يكمن أساس فرحنا بإيماننا المشترك.

ومع هذا الفرح قدرة على التمييز والنقد الذاتي لأنفسنا، ليس فقط في تاريخنا الماضي بل في الحاضر أيضاً. دون شك، لم نكن نحن المسيحيين دائماً مخلصين للإنجيل. كنا غالباً نكيّف أنفسنا وفقاً لأنماط التفكير والسلوك السائدة في عالم اليوم. وقد عرقلنا مرارا كثيرة طريق البشرى إلى رحمة الله. نحن، أفراداً وجماعات مؤمنة، بحاجة مستمرة إلى توبة وإصلاح، بقوة الروح القدس وإرشاده. لقد قال ربنا ومعلمنا يسوع المسيح: "توبوا..." (متى٤:١٧)، وقد أراد أن تكون حياة المؤمنين كلها حياة توبة. هكذا تقول الجملة الافتتاحية لحجج مارتن لوثر الخمسة والتسعين التي أطلقت حركة الإصلاح عام ١٥١٧.

وبالرغم من أن هذا الطرح هو أمرٌ بديهيٌّ اليوم، فإننا نحن، المسيحيين، اللوثريين والكاثوليك، نريد أن نحمله على محمل الجد، بتوجيه نظرتنا الناقدة إلى أنفسنا أولاً بدلاً من أن يوجه كل واحد منا النقد إلى الآخر. ونحن نتخذ عقيدة التبرير قاعدة أساسية لتهدينا، لأنها تعبر عن رسالة الإنجيل، "وتوجه على نحو مستمر كل تعليم كنائسنا وممارستها نحو المسيح" (الإعلان المشترك حول عقيدة التبرير).

ويمكن أن تقوم الوحدة الحقيقية في الكنيسة فقط حين تنطوي على الوحدة في الحقيقة الكامنة في إنجيل يسوع المسيح.كون أن الصراع من أجل هذه الحقيقة في القرن السادس عشر قاد إلى خسارة الوحدة في المسيحية في الغرب، فإننا نرى في ذلك صفحة مظلمة في تاريخ الكينسة. في

سنة ٢٠١٧ ينبغي أن نعترف صراحةً أننا كنا مذنبين أمام المسيح بتدمير وحدة الكنيسة. فإن عام ذكرى الإصلاح هذا يقدم لنا تحديين اثنين: تطهير الذاكرة وشفاؤها، واستعادة الوحدة المسيحية بما يوافق حقيقة إنجيل يسوع المسيح (أفسس٤:٤-٦).

تصف هذه الوثيقة طريقًا "من النزاع إلى الشركة"، وهو أمرٌ لم نصل إلى تحقيق هدفه بعد. ومع ذلك فإن اللجنة اللوثرية- الكاثوليكية للوحدة أخذت بصورة جدية كلمات البابا يوحنا الثالث والعشرين: "أن الأمور التي توحدنا هي أكثر من التي تفرقنا".

إننا ندعو المسيحيين جميعهم إلى دراسة التقرير الذي صاغته لجنتنا بعقول مفتوحة وناقدة وإلى أن ينضموا إلينا من أجل شراكة مسيحية أعمق بين كل المسيحيين.

كارل هاينس ديتس

مطران فولدا المساعد

نيابة عن الرئيس المشارك الكاثوليكي

Karlheinz Diez
Auxiliary Bishop of Fulda
(on behalf of the Catholic co-chair)

ايرو هوفينين

مطران هيلسنكي المتقاعد

الرئيس المشارك اللوثري

Eero Huovinen
Bishop Emeritus of Helsinki
Lutheran co-chair

المقدمة

١. سيحتفل المسيحيون اللوثريون والكاثوليك في عام ٢٠١٧ بمرور ٥٠٠ عام على بدء الإصلاح. ينعم اللوثريون والكاثوليك اليوم بتنامٍ في الفهم المتبادل والتعاون والاحترام. فقد أدركوا أن ما يوحدهم هو أكثر مما يفرقهم: أولاً الإيمان المشترك في الله مثلث الأقانيم وبالوحي في يسوع المسيح، فضلاً عن الاعتراف بالحقائق الأساسية في عقيدة التبرير.

٢. كما أن ذكرى مرور ٤٥٠ عام على اعتراف "أوغسبرغ"، في سنة ١٩٨٠ منحت اللوثريين والكاثوليك الفرصة لتطوير فهم مشترك لحقائق الإيمان الأساسية بالتأكيد على أن يسوع هو المحور الحيّ لإيماننا المسيحي[١]. وبمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على ميلاد مارتن لوثر، وذلك عام ١٩٨٣، أثبت الحوار العالمي بين الكاثوليك واللوثريين عددًا من مبادئ لوثر الأساسية ، إذ سمّاه تقرير اللجنة "شاهداً ليسوع المسيح" وأقرّ أن "المسيحيين سواء أكانوا من البروتستانت أم من الكاثوليك لا يستطيعون أن يهملوا لوثر ورسالته".[٢]

٣. تدعو سنة ٢٠١٧ الكاثوليك واللوثريين إلى أن يتحاوروا حول قضايا ونتائج إصلاح "فيتنبرج"، الذي تمحور حول شخص مارتن لوثر وفكره، وإلى تطوير وجهات نظر متعددة حول إحياء ذكرى الإصلاح اليوم. إن برنامج لوثر الإصلاحي يقتضي تحدياً روحياً ولاهوتياً بالنسبة إلى الكاثوليك واللوثريين اليوم.

---

[1] Roman Catholic / Lutheran Joint Commission, “All Under One Christ: Statement on the Augsburg Confession 1980”, in Harding Meyer and Lucas Visher (eds), *Growth in Agreement 1: Reports and Agreed Statements of Ecumenical Conversations on a World Level*, 1972-1982 (Geneva: WCC Publications, 1984), 241-47.

[2] Roman Catholic / Lutheran Joint Commission, “Martin Luther: Witness to Jesus Christ” I.1, in Jeffrey Gros, FSC, Harding Meyer and William G. Rusch (eds), *Growth in Agreement II: Reports and Agreed Statements of Ecumenical Conversations on a World Level*, 1982–1998 (Geneva: WCC Publications, 2000), 438.

الفصل الأول

إحياء ذكرى الإصلاح في عصر المسكونية والعولمة

٤. لكل ذكرى سياق خاص. يشتمل السياق اليوم على ثلاثة تحديات رئيسية، تقدم لنا فرصة سانحة والتزاماً حقيقياً. (١) إنها أول ذكرى في هذا العصر المسكوني. وهذه الذكرى المشتركة تعمِّق الشركة بين الكاثوليك والبروتستانت. (٢) وهي أيضاً أول ذكرى في عصر العولمة، ولهذا يجب أن تشمل هذه الذكرى المشتركة تجارب وخبرات ومنظور جميع المسيحيين في الشمال والجنوب وفي الشرق والغرب. (٣) إنها الذكرى الأولى التي اضطرت إلى التعامل مع ضرورة نشر الإنجيل في زمن اتسم بانتشار الحركات الدينية الجديدة وتنامي الفكر الدنيوي في أماكن كثيرة. ولهذا ففي هذه الذكرى المشتركة فرصة وإلتزام للعمل معاً كي تكون ثمة شهادة مشتركة للإيمان.

الطابع الخاص للذكريات السابقة

٥. صار التاريخ ٣١ تشرين الأول ١٥١٧ رمزاً للإصلاح البروتستانتي في زمن مبكر نسبياً. وتحتفل اليوم الكثير من الكنائس اللوثرية في كل عام في ٣١ تشرين الأول بما يُعرف بعيد الإصلاح. اتصفت الاحتفالات المئوية بالإصلاح بالبذخ والمرح. وكانت تتجلى وجهات نظر الجماعات المعارضة والمؤيدة خلال هذه الأحداث. بالنسبة إلى اللوثريين، كانت الذكرى المئوية مناسبة لإعادة سرد الرواية الخاصة بالصفة الإنجيلية لكنائسهم وذلك لتبرير وجودهم ولإظهار تميّزهم. فكان من الطبيعي أن يرتبط هذا الأمر بنقد الكنيسة الكاثوليكية. ومن الجانب الآخر، اتخذ الكاثوليك من الذكرى المئوية فرصة لتوجيه الاتهام إلى اللّوثريين بانفصالهم غير المبرّر عن الكنيسة الحقيقية ورفض إنجيل المسيح.

٦. كانت البرامج السياسية والسياسة الكنسية تحدّد الشكل الذي كانت تقوم عليه الاحتفالات بإحياء الذكريات المئوية السابقة. ففي عام ١٦١٧ مثلاً ساعد الاحتفال بالذكرى المئوية الأولى على الاستقرار ومنح حياة جديدة للهوية الإصلاحية للّوثريين والمصلحين في احتفالهم المشترك.

وأظهر اللوثريون والكنائس المصلحة تعاضدهم من خلال هجومهم العنيف على الكنيسة الكاثوليكية، واحتفلوا معاً بلوثر كمحرّر من النير الكاثوليكي. وبعد ذلك بكثير تمّ تسمية لوثر خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧ على انه بطل قوميّ ألماني.

إحياء الذكرى المسكونية الأولى

٧. سيشهد العام ٢٠١٧ الذكرى المئوية للإصلاح لأول مرة في العصر المسكوني. كما وسيتزامن الاحتفال مع مرور خمسين عاماً على الحوار اللوثري الكاثوليكي. رفع اللوثريون والكاثوليك، كجزء من الحركة المسكونية، الصلوات معاً، وصلّوا إلى الله معاً، وخدموا مجتمعاتهم معاً. وقد أغنى كلّ هذا الكاثوليك واللوثريين. وهم أيضاً يواجهون التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية معاً. كما أن هناك روحانية مميزة ظهرت في الزيجات المختلطة بين التقليدين وأثمرت عن تبصرات وأسئلة جديدة. وقد تمكن اللوثريون والكاثوليك من إعادة تفسير تقاليدهم وممارساتهم اللاهوتية، معترفين بالتأثير المتبادل بينهم. لهذا فهم يتطلعون بشوق إلى إحياء الذكرى معاً عام ٢٠١٧.

٨. تقتضي هذه التغيرات توجّهًا جديدًا. فلم يعد من الملائم إعادة سرد الروايات السابقة عن الإصلاح والتي تعرض المنظور اللوثري والكاثوليكي على نحو منفصل وغالباً مضاد أو معاكس. يختار المؤرخ دائما من بين كمّ هائل من اللحظات التاريخية ويدمج العناصر المختارة ليصنع منها وحدة ذات معنى. ولأن روايات الماضي كانت متعارضة في الأغلب، لم يكن من غير المألوف أن تؤجج هذه الروايات الصراع بين المذاهب الدينية، وقد قادت هذه الروايات أحياناً إلى عداء مفتوح.

٩. وللذكرى التاريخية نتائج ملموسة بالنسبة إلى العلاقة بين المذاهب. لذلك فإن الذكرى المسكونية المشتركة للإصلاح اللوثري مهمة جداً كما أنها صعبة جداً. وحتى اليوم يربط كثير من الكاثوليك لفظة الإصلاح بالانقسام داخل الكنيسة أولاً، على حين يربط كثير من المسيحيين اللوثريين لفظة الإصلاح بشكل رئيسي بإعادة اكتشاف الإنجيل المتعلق بالإيمان

والحرية. وسيكون من الضروري أن نحمل نقطتي الانطلاق هاتين على محمل الجدّ كي نوصل بين المنظورين ونضعهما في حوار.

الاحتفال بالذكرى في سياق العولمة والعلمانية

١٠. شرعت المسيحية في القرن السابق تتنامى لتصبح عالمية. وهناك اليوم مسيحيون ينتمون إلى مختلف المذاهب في جميع أنحاء العالم. وفي الوقت الذي يتنامى فيه المسيحيون في الجنوب فإن عددهم يتقلّص في الشمال. وتتخذ الكنائس في الجنوب تدريجياً أهمية متزايدة في العالم المسيحي. لا ترى هذه الكنائس النزاعات بين المذاهب في القرن السادس عشر على أنها صراعاتها الخاصة، وإن كانت مرتبطة مذهبياً بكنائس أوروبا وشمال أمريكا ومشاركتها إياها في العقيدة الأساسية. وسيكون من المهم بالنسبة إلى العام ٢٠١٧ التعامل بجدية مع مساهمات الكنائس الجنوبية وأسئلتها ومنظورها.

١١. ترك كثير من الناس الكنائس مؤخراً ونسوا تقاليدهم الكنسية في الأماكن التي تجذرت فيها المسيحية منذ قرون. في هذه التقاليد، سلّمت الكنائس جيلاً بعد جيل ما تسلمته من السابقين مما فهموا من الكتاب المقدس: ما فهمته عن الله والإنسانية والعالم في استجابتها لوحي الله بالمسيح يسوع، والحكمة المتطورة على مدى الأجيال بفضل الخبرة الطويلة في علاقتهم مع الله، إلى جانب أشكال العبادة التي تمثّل كنزاً كنسياً، والترانيم والصلوات والتعليم الديني وخدمات المحبة. وقد نتج عن هذا النسيان أن أصبح كثير مما فرّق الكنائس في الماضي واقعاً غير معلوم اليوم.

١٢. ولكن المسكونية لا تقوم على نسيان التقاليد. فكيف إذاً سنتذكر تاريخ الإصلاح عام ٢٠١٧؟ ماذا يجب أن نحفظ من الذي تخاصم فيه كلا المذهبين؟ كان آباؤنا وأمهاتنا في الإيمان مقتنعين أن هناك شيئاً يستحق أن نناضل من أجله، وهو شيءٌ اعتبروه ضرورياً من أجل الحياة مع الله. وكيف يمكن أن نسلّم التقاليد المنسية إلى معاصرينا فلا تكون فقط موضوع اهتام كمن يهتم بالأمور القديمة، بل تكون سببًا لدعم وجود مسيحي نابض بالحياة؟ كيف

يمكن أن تُسلَّم التقاليد اليوم بطريقة لا تحفر خنادق جديدة بين المسيحيين الذين ينتمون إلى مذاهب مختلفة؟

تحديات جديدة للذكرى عام ٢٠١٧

١٣. كثيرا ما تفاعلت الكنيسة والثقافة عبر القرون على أوسع نطاق ممكن. والشيء الكثير من حياة الكنيسة دخل عبر القرون في ثقافات البلدان وما زال يتفاعل معها ويؤدي دوراً فيها حتى إلى يومنا هذا، وأحياناً بشكلٍ مستقلٍّ عن الكنائس. إن الإعداد لعام ٢٠١٧ يحتاج إلى تعريف عناصر التقليد المختلفة المثبتة الآن في الثقافة لتفسيرها وإقامة حوار بين الكنيسة والثقافة في ضوء هذه المظاهر المختلفة.

١٤. أضحت الحركات "الخمسينية" "والكاريزماتية" منذ مئة عام منتشرة في أنحاء المسكونة. وشددت هذه الحركات القوية على أمورٍ جديدة مما جعل الجدالات المذهبية القديمة تبدو أمورًا بالية. إن الحركة الخمسينية متواجدة في كثير من الكنائس الأخرى على شكل حركات "كرازماتية"، وقد أوجدت قواسم مشتركة ومجتمعات جديدة تتخطى الحدود المذهبية. هكذا إذن، تخلق هذه الحركة فرصاً مسكونية جديدة، وتفرز في الوقت نفسه تحدّياً إضافياً سيلعب دوراً ذا مغزى في ذكرى الإصلاح عام ٢٠١٧.

١٥. بينما كانت مئويات الإصلاح السابقة تعقد في بلدان مجتمعاتها متجانسة مذهبياً أو في بلدان فيها أكثرية مسيحية، يعيش أكثر المسيحيين اليوم في أنحاء العالم في مجتمعات متعددة الأديان. تفرض هذه التعددية تحدياً جديداً على الحركة المسكونية. فهي ليست أمراً إضافيّاً في حياة الكنيسة، بل أمر ضروري ومُلِحّ، لأن عِداء المذاهب المسيحية نحو بعضها البعض يضرّ بمصداقية المسيحية. والطريقة التي يتعامل بها المسيحيون مع اختلافاتهم تكشف قدراً من إيمانهم للمنتمين إلى ديانات أخرى. إن السؤال حول طريقة التعامل مع الاختلافات المسيحية الداخلية هو أمر مصيريّ ولا سيما في مناسبة ذكرى بداية الإصلاح، ويستحق هذا الجانب انتباهاً خاصاً في تفكيرنا في العام ٢٠١٧.

الفصل الثاني

نظرة جديدة إلى مارتن لوثر والإصلاح

١٦. ليس بالإمكان تغيير ما حدث بالماضي، ولكن ما نتذكره عن الماضي وكيف نتذكره يمكن أن يتغير مع مرور الزمن. لا شك في أن التذكر يجعل الماضي حاضراً. بينما يستحيل تغيير الماضي، فإنه يمكن تبديل كيفية حضور الماضي في الحاضر. وفيما يتعلّق بالعام ٢٠١٧ فليس الموضوع الحديث عن تاريخ مختلف، بل سرد ذلك التاريخ على نحو مختلف.

١٧. هناك أسباب كثيرة تجعل اللوثريين والكاثوليك يعيدون سرد تاريخهم بطرق جديدة، إذ اقتربوا بعضهم من بعض من خلال الروابط الأسرية ومن خلال خدمتهم في التبشير العالمي ومن خلال مقاومتهم المشتركة للاستبداد في أماكن عدّة. غيرت هذه العلاقات العميقة الفهم المتبادل للآخر وأصبحت تقتضي بصورة ملحة طرقا جديدة للحوار المسكوني وأبحاثاً إضافية جديدة. لقد غيرت الحركة المسكونية توجّه مفهوم الكنائس للإصلاح، إذ قرّر اللاهوتيون المسكونيون عدم السعيّ وراء ثوابتهم المذهبية على حساب شركائهم في الحوار، بل البحث عمّا هو مشترك ضمن الاختلافات، حتى عند وجود مواقف متضاربة، وهذا سيقود إلى تجاوز الاختلافات التي تفرق بين الكنائس.

مساهمات الأبحاث العلمية عن العصور الوسطى

١٨. ساهم البحث العلمي كثيراً في تغيير وجهات النظر إلى الماضي، وذلك بعدة طرق. فيما يتعلق بالإصلاح، شمل ذلك الرواية التاريخية لكلّ من الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية. وساهم ذلك في تصحيح الصورة النمطية السابقة للتاريخ من خلال استخدام أدلة منهجية دقيقة والتفكير في الأحوال التي أحاطت بوجهات نظرهم وافتراضاتهم المسبقة. أما

فيما يتعلق بالجانب الكاثوليكي، فإن هذا الأمر ينطبق بشكل خاص على أبحاث جديدة حول لوثر والإصلاح. وبالنسبة إلى الجانب البروتستانتي، يرتبط ذلك بالصورة المعدّلة للاهوت القرون الوسطى ونظرة أوسع وأكثر احتراماً لأواخر العصور الوسطى. وبالنسبة إلى الدراسات عن الإصلاح في أيامنا هذه، ثمة اهتمام حديث بعدد كبير من العوامل غير اللاهوتية— السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية. وقد أدى الوعي لواقع الانتماءات المذهبية إلى تصحيح حاسم لقراءة التاريخ المدّون قبل تلك الحِقبة.

١٩. لم تعد أواخر العصور الوسطى تُرى على أنها شديدة الظلام كما وصفها غالباً البروتستانت، ولا يُنظر إليها على أنها نور ساطع كما وصفها الكاثوليك قديمًا. ويظهر هذا العصر اليوم وكأنه زمن المتناقضات الكبيرة: بين التديّن الخارجي وعمق الحياة الداخلية، وبين اللاهوت الذي يركز على الأعمال، بمعنى "أنا أعطيك لكي تعطيني"، والقناعة بالاعتماد الكلي على نعمة الله، وبين اللامبالاة تجاه الالتزامات الدينية حتى الالتزامات المرتبطة بالمنصب الكنسي، والإصلاحات الجادة كما في بعض الجمعيات الرهبانية.

٢٠. لم تكن الكنيسة كياناً ذا وحدة متناغمة، بل شمل جسد المسيح تيارات لاهوتية متنوعة، وأنماط حياة متعددة، وحتى مفاهيمَ مختلفة لمعنى الكنيسة. ويذكر المؤرخون أن القرن الخامس عشر أتّصف بورع خاص في الكنيسة. وحصل كثيرٌ من العلمانيين في تلك الفترة على تربية جيّدة، فكانوا متشوقين أن يستمعوا إلى وعظ أفضل وإلى لاهوت يساعدهم على أن يعيشوا حياة مسيحية. فتبنّى لوثر مثل هذه الاتجاهات اللاهوتية والتقويّة وطوّرها.

أبحاث كاثوليكية في القرن العشرين حول لوثر

٢١. استندت الأبحاث الكاثوليكية حول لوثر في القرن العشرين على الاهتمام الكاثوليكي بتاريخ الإصلاح والذي ازدهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد اتبع هؤلاء اللاهوتيين جهود السكان الكاثوليك في المناطق ذات الغالبية البروتستانتية في الإمبراطورية الألمانية. سعى هؤلاء لتحرير أنفسهم من الموقف المنحاز لطرف واحد والمعادي لروما ومن الرواية البروتستانتية للتاريخ. وكانت الانطلاقة بالنسبة إلى البحث العلمي الكاثوليكي الفرضية

أن لوثر تغلب في داخله على كاثوليكية لم تكن بحقّ كاثوليكية. وبحسب هذه النظرة، فإن حياة وتعليم الكنيسة في أواخر العصور الوسطى كانا أمراً سبّب إحباطاً سلبياً للإصلاح، وهكذا كانت هذه الأزمة داخل الكاثوليكية سبباً في جعل احتجاج لوثر مقنعاً لبعضهم.

٢٢. قُدِّمَت صورة جديدة للوثر، على أنّه شخص شديد التديّن ورجل صلاة حيّ الضمير. وأظهر البحث التاريخي المثابر والتفصيلي أن الأدب الكاثوليكي الذي ظهر عن لوثر خلال القرون الأربعة الأولى من الإصلاح قد تأثر كثيراً بكتابات يوهانِس كوخالِيوس (Johannes Cochaleus)، وهو معاصر للوثر ومعارض له ومستشار الدوق جورج من سكسونيا (Duke George of Saxony). والصورة التي أعطاها كوخاليوس عن لوثر كانت أنه راهب جاحد ومدمّر للمسيحية ومفسد للأخلاق وهرطوقي. إن إنجاز المرحلة الأولى من الدراسة حول لوثر، والتي اتصفت بالنقد ولكن النقد المتعاطف مع شخصية لوثر، هو تحرير البحث الكاثوليكي من وجهة النظر المنحازة في هذه الدراسات الجدلية والمتخاصمة عن شخصية لوثر. وأظهر تحليل تاريخي رصين ومتزن من قبل اللّاهوتيين الكاثوليك أن ما أدى إلى انقسام الكنيسة لم يكن سببه مبادئ الإصلاح الرئيسية، كعقيدة التبرير، بل انتقادات لوثر لحال الكنيسة في زمنه، هي التي كانت السبب الرئيسي.

٢٣. كانت الخطوة التالية للبحث الكاثوليكي حول لوثر الكشف عن نقاط متشابهة كامنة في قواعد الفكر اللاهوتي ونظرياته، وذلك بفضل مقارنة منتظمة بين نموذجين من اللاهوتيين في كل من المذهبين، وهما توما الاكويني ومارتن لوثر. وقد مكّن هذا العمل اللاهوتيين من فهم لاهوت لوثر ضمن إطاره الخاص. وفي الوقت نفسه دقق البحث الكاثوليكي في معنى عقيدة التبرير ضمن إقرار أوغسبرغ. وهنا يمكن أن نضع اهتمامات لوثر الإصلاحية ضمن السياق الأوسع الذي يشمل صياغة مختلف الاعترافات العقائدية اللوثرية، مما يجعل إقرار أوغسبرغ تعبيراً مبدئياً عن اهتمامات الإصلاح ومحافظاً على وحدة الكنيسة.

المشاريع المسكونية تهيئ الطريق للإجماع

٢٤. أدت هذه الجهود مباشرة إلى وضع مشروع مسكوني عام ١٩٨٠ بادر به لاهوتيين لوثريين وكاثوليك في ألمانيا بمناسبة ذكرى مرور ٤٥٠ عام على تقديم إقرار أوغسبرغ، واعتراف كاثوليكي بإقرار أوغسبرغ. وتلا ذلك إنجاز كبير لمجموعة عمل مسكونية لاحقة مؤلفة من لاهوتيين بروتستانت وكاثوليك، تباعًا لمشروع البحث الكاثوليكي حول لوثر. وأدت هذه الدراسة المشتركة إلى بحث عنوانه: "إدانات عصر الإصلاح، هل ما زالت تفصلنا؟"[٣]

٢٥. بُني "الإعلان المشترك لعقيدة التبرير"،[٤] الذي وقعه كل من الاتحاد اللوثري العالمي والكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٩٩، على هذا الأساس، وأيضاً على أساس الحوار في الولايات المتحدة تحت عنوان "التبرير بالإيمان".[٥] وأكد البيان المشترك على إجماع كاثوليكي ولوثري حول الحقائق الأساسية لعقيدة التبرير بالإيمان.

تطورات كاثوليكية

٢٦. استجابة للنهضة الكتابية والليتورجيا والعودة إلى آباء الكنيسة وكتاباتهم في العقود السابقة، عالج المجمع الفاتيكاني الثاني موضوعات مثل احترام وتقدير دور الكتاب المقدس في حياة الكنيسة، وإعادة اكتشاف الكهنوت العام بالنسبة إلى جميع المعمّدين، والحاجة إلى تنقية مستمرة وإصلاح في الكنيسة، وفهم دور الكنيسة على أنها خدمة، ومركزية حرية الإنسان ومسؤوليته، بما في ذلك الحرية الدينية.

٢٧. أكد هذا المجمع أيضًا على وجود عناصر تقديس وحق حتى خارج هيكلية الكنيسة الكاثوليكية. وأكد المجمع:" هناك عناصر ومواهب بها تتكوّن الكنيسة وتحيا، يمكن أن يوجد، بعضها أو حتى الكثير منها، خارج حدود الكنيسة الكاثوليكية المنظورة". وذكرت هذه

[3] Karl Lehmann and Wolfhart Pannenberg (eds), *Condemnations of the Reformation Era: Do They Still Divide?* tr. Margaret Kohl (Minneapolis, MN: Fortress, 1990).

[4] The Lutheran World Federation and the Roman Catholic Church, *Joint Declaration on the Doctrine of Justification* (Grand Rapids, Michigan/Cambridge, U. K.: William B. Eerdmans,2000). Originally published as *Gemeinsame Erklärung zur Rechtfertigungslehre* (Frankfurt am Main: Verlag Otto Lembeck / Paderborn: Bonifatius-Verlag, 1999).

[5] H. George Anderson, T. Austin Murphy, Joseph A. Burgess (eds), *Justification by Faith*, Lutherans and Catholics in Dialogue VII (Minneapolis, MN: Augsburg Publishing House,1985).

العناصر وهي: "كلمة الله المكتوبة، وحياة النعمة، والإيمان والرجاء والمحبة، وغير ذلك من هبات الروح القدس الباطنية أو العناصر المنظورة أيضًا" (*UR* 3). وتحدث المجمع كذلك عن "الأعمال الليتورجيّة الكثيرة للدين المسيحي" التي يمارسها "الإخوة المنفصلون". وأضاف: "ويمارس الإخوة المنفصلون عنا عدداً كبيراً من شعائر الدين المسيحي بإمكانها، ولا شكّ في ذلك، أن تولّد حياة حقيقية بطرق قد تختلف اتباعاً لأوضاع كل كنيسة أو جماعة. ويجب اعتبار هذه الأعمال الليتورجية على أنها قادرة على أن تؤدي إلى شركة الخلاص" (*UR* 3).[٦] وامتدّ الاعتراف ليشمل ليس فقط العناصر المنفردة والأعمال في هذه الجماعات، ولكن أيضًا "الكنائس والجماعات المنفصلة" نفسها، "فروح المسيح لم يمتنع عن استخدامها بمثابة وسائل خلاصية" (*UR* 1.3).

٢٨. وفي ضوء التجديد اللاهوتي الكاثوليكي في المجمع الفاتيكاني الثاني، يستطيع الكاثوليك اليوم أن يقدّروا مواقف مارتن لوثر الإصلاحية وأن يحترموها بانفتاح أكثر مما كان ممكنًا في الماضي.

٢٩. وقاد التقارب الضمني مع اهتمامات لوثر إلى تقييم جديد لكاثوليكيته. فتمّ الاعتراف أن نيّته كانت إصلاح الكنيسة لا انقسامها. ويبدو هذا واضحا في تقارير يوهانس كاردينال فيلبراندز (Johannes Cardinal Willebrands) والبابا يوحنا بولس الثاني.[٧] وقاد إعادة اكتشاف هذين الأمرين المحوريين لشخصه ولاهوته إلى فهم مسكوني جديد للوثر "كشاهد للإنجيل".

٣٠. بيَّن البابا بندكتوس السادس عشر (Pope Benedict XVI) الطرق التي بها يكوِّن مارتن لوثر بشخصيته ولاهوته تحدّياً لاهوتياً وروحياً للّاهوت الكاثوليكي اليوم، وذلك عندما زار عام ٢٠١١ دير الرهبان الأوغسطيني في مدينة "ارفورت" (Erfurt) حيث كان لوثر راهبًا مدة ست سنوات. وقال البابا عندها شارحًا: "ما شغل بال لوثر على نحو مستمر كان السؤال عن الله، فكان ذلك شغفه العميق والقوة الدافعة خلال رحلة حياته الطويلة. كيف أجد إلهاً رؤوفاً؟ — شغل هذا السؤال قلبه وضميره وكان الأساس لجميع أبحاثه اللاهوتية وجهاده

[6] *Unitatis Redintegratio* = *UR 3*.

[7] Jan Willebrands, Lecture to the 5th Assembly of the Lutheran World Federation, on July 15, 1970, in *La Documentation Catholique* (6 September 1970), 766; John Paul II, Letter to Cardinal Willebrands for the Fifth Centenary of the Birth of Martin Luther, in *Information Service*, no. 52 (1983/II), 83–84.

الداخلي. فلم يكن اللاهوت بالنسبة إليه مجرد أبحاث أكاديمية، بل كان جهاداً مع ذاته، وبالتالي كان جهاداً من أجل الله ومعه. كيف أجد إلهاً رؤوفاً؟ – كان هذا السؤال القوة الدافعة له مدّة حياته بطولها، وهذا أمرٌ ما زال يؤثر فيَّ تأثيراً عميقاً. إذ من يكترث حقاً بهذا الأمر اليوم — حتى بين المسيحيين؟ فماذا يعني اليوم السؤال عن الله في حياتنا؟ وفي وعظنا؟ فمعظم الناس اليوم، حتى المسيحيين، ينطلقون من الفرضية التي تقول إن الله لا يكترث أساساً بخطايانا وفضائلنا".[٨]

التطورات اللوثرية

٣١. اجتاز البحث حول لوثر وحول الإصلاح أيضاً تطوراً جديداً. فقد أدت خبرات الحربين العالميتين إلى ظهور فرضيات حول مسيرة التاريخ وعلاقة المسيحية بالحضارة الغربية، على حين فتحت نهضة لاهوت الكرازة طريقاً جديدة للتفكير في لوثر. كما أعان الحوار مع المؤرخين على دمج عناصر تاريخية واجتماعية في وصف حركات الإصلاح. فاعترف اللاهوتيون اللوثريون بتداخل الفكر اللاهوتي مع المصالح السياسية ليس فقط عند الكاثوليك بل عندهم أيضاً. كما وساعدهم الحوار مع اللاهوتيين الكاثوليك على التغلب على طرق الفهم النمطية المنحازة لجانب واحد، ليصبحوا ناقدين للذات ولمظاهر تقاليدهم الخاصة على نحو أكبر.

أهمية الحوارات المسكونية

٣٢. يلتزم المشاركون في الحوار بالعقائد الخاصة بكنائسهم، والتي تعبر عن حقيقة الإيمان بحسب قناعاتهم. وتتشابه هذه العقائد في غالبية الأمور، إلا أنها ربما تختلف بل وحتى تتعارض

[8] Benedict XVI, Address, Meeting with the Council of the Evangelical Church in Germany, September 23, 2011, at www.vatican.va/holy_father/benedict_xvi/speeches/2011/september/documents/hf_ben-xvi_spe_20110923_evangelical-church-erfurt_en.html;translation altered.

في طريقة صياغتها. إن الحوار ممكن بسبب التشابه، وهو ضروريٌّ بسبب الاختلاف في الصياغة.

٣٣. ويبيّن الحوار أن المشاركين فيه يتحدثون بلغات لاهوتية مختلفة ويفهمون معاني الكلمات والاصطلاحات على نحو مختلف. فهم يميّزون بين الأمور بطريقة مختلفة ويفكرون بقوالب فكرية مختلفة. إلا أن ما يظهر متعارضاً في التعبير، ليس متعارضاً في الجوهر. وينبغي من أجل تحديد العلاقة بين العقائد المتعددة تفسير النصوص التي صيغت فيها هذه العقائد في ضوء السياق التاريخي. هذا سيسمح للمرء أن يميّز حقيقة أين يوجد اختلاف أو تعارض، وأين لا يوجد.

٣٤. ويعني الحوار المسكوني التحول من أنماط الفكر التي تنبثق من التركيز على الاختلافات بين المذاهب. وبدلاً من ذلك ينظر المشاركون في الحوار أولا إلى ما هو مشترك بينهم وعندئذ فقط يفكّرون في مدى أهمية اختلافاتهم. ولا يتم إغفال هذه الاختلافات أو التعامل معها على نحو عرضي، لأن الحوار المسكوني هو البحث المشترك عن الحق في الإيمان المسيحي.

الفصل الثالث

عرض تاريخي للإصلاح اللوثري والردّ الكاثوليكي

٣٥. نحن قادرون اليوم على سرد قصة الإصلاح اللوثري معاً. ورغم اختلاف وجهات النظر اللوثرية والكاثوليكية، فإننا قادرون على التغلب على تأويلات تقليدية معادية للبروتستانتية والكاثوليكية كي نجد طريقاً مُشتركاً لتذكّر أحداث الماضي، وذلك بالحوار المسكونيّ. ولا ينطوي الفصل الآتي على وصف تام للتاريخ وجميع نقاط الاختلاف اللاهوتية، إنما يبرز فقط بعض المواقف التاريخية الأكثر أهمية والمسائل اللاهوتية الخاصة بالإصلاح في القرن السادس عشر.

ما معنى الإصلاح؟

٣٦. أشارت لفظة "الإصلاح" في اللغة اللاتينية قديماً (*reformatio*) إلى فكرة تغيير وضع حالي سيء بالعودة إلى أوقات أفضل كانت في العصر القديم. أما في العصور الوسطى فاستخدم المفهوم غالباً في سياق إصلاح في أديرة الرهبان. بدأت الرهبنات "بالإصلاح" من أجل التغلب على الانحلال الذي أصاب النظام ونمط الحياة الرهبانية. وقد أُنشئت إحدى اكبر الحركات الإصلاحية في القرن العاشر في دير كلوني (Cluny).

٣٧. طُبّق مفهوم ضرورة الإصلاح في أواخر العصور الوسطى في كل الكنيسة. وانشغلت المجامع الكنسية وتقريباً كل المجالس التشريعية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عمل "الإصلاح". ونظر مجمع كونستانس (The Council of Constance) (١٤١٤– ١٤١٨)

في إصلاح الكنيسة على انه ضرورة "في الرأس وفي الأعضاء".[٩] ونشرت على نحو واسع وثيقة إصلاح عرفت باسم "إصلاح سيجموند" (*Reformation Keyser Sigmunds*)، دعت إلى إعادة إحياء النظام القويم في جميع مناحي الحياة. وانتشرت فكرة الإصلاح أيضاً في نهاية القرن الخامس عشر في الحكومة والجامعة.[١٠]

٣٨. ندرَ أن استخدم لوثر مفهوم "الإصلاح". ففي كتابه شرح الخمس والتسعين احتجاجاً، صرّح لوثر: "تحتاج الكنيسة إلى إصلاح لا من عمل الإنسان، أي البابا، أو عدة رجال، أي الكرادلة، وهو ما أظهره المجمع الأخير، ولكن من صنع العالم أجمع، بل بالحري من صنع الله وحده. على أيّة حال، فإن الله وحده الذي خلق الزمن يعلم الزمن المناسب لهذا الإصلاح."[١١] واستخدم لوثر لفظة الإصلاح ليصف جوانب التحسينات على النظام، كنظام الجامعات مثلاً. وفي أطروحته عن الإصلاح "خطاب إلى النبلاء المسيحيين" عام ١٥٢٠ دعا إلى "مجلس عادل وحرّ" يسمح بمناقشة اقتراحات الإصلاح.[١٢]

٣٩. أضحى مصطلح " إصلاح" دلالة على مجموعة من الأحداث التاريخية، والتي تشمل بالمعنى الحصري السنوات من ١٥١٧ إلى ١٥٥٥، أي من الزمن الذي نشر فيه مارتن لوثر احتجاجاته الخمس والتسعين إلى صلح أوغسبرغ. واختلط الجدل اللاهوتي والكنسي الذي أثاره لاهوت لوثر بسرعة في حقول السياسة والاقتصاد والثقافة لصلتها بالأوضاع القائمة في ذلك الوقت. ويمتد المعنى المرتبط بمصطلح الإصلاح إلى ما هو أبعد مما علّم لوثر وما قصد إليه. إن مفهوم الإصلاح كدلالة على حقبة زمنية يعود إلى ليوبولد فون رانكِه (Leopold von Ranke) في القرن التاسع عشر، وهو أول من تداول وأشهر مصطلح "عصر الإصلاح".

---

[9] Council of Constance, session 3, 26 March 1415.

[10] See The Lutheran World Federation and Pontifical Council for Promoting Christian Unity, *The Apostolicity of the Church: Study Document of the Lutheran–Roman Catholic Commission on Unity* (Minneapolis, MN: Lutheran University Press, 2006), 92, n. 8.

[11] Martin Luther, Explanations of the Ninety-Five Theses, tr. Carl W. Folkemer, in Helmut T. Lehmann and Jaroslav Pelikan (eds), *Luther's Works*, American Edition, 55 vols, (Philadelphia and St. Louis, 1955–1986), 31:250 (=*LW*); *WA* 1, 62, 27–31.

[12] Luther, To the Christian Nobility of the German Nation concerning the Reform of the Christian Estate, tr. Charles M. Jacobs, rev. James Atkinson, in *LW* 44:127; *WA* 6, 407, 1.

اشتعال قضية الإصلاح: الجدل حول الغفرانات

٤٠. في ٣١ تشرين الأول من عام ١٥١٧، أرسل لوثر احتجاجاته أو أطروحاته الخمس والتسعين بعنوان: "جدل حول فعالية وقوة الغفرانات"، وذلك كملحق لرسالة بعث بها إلى رئيس أساقفة الأبرشية ألبرت في ماينز (Albrecht of Mainz). وأوضح لوثر في الرسالة قلقه الكبير حول الوعظ عن الغفرانات وممارستها، الأمر الذي كان يتم بمسؤولية رئيس الأساقفة، وحثّه إحداث تغيير في الواقع. وكتب رسالة في اليوم نفسه إلى أسقف أبرشيته هيرونيموس في براندنبورج (Hieronymus of Brandenburg). عندما أرسل لوثر هذه الاحتجاجات إلى بعض زملائه وقام بتعليقها على بوابة الكنيسة في فيتنبرج، كان يريد أن يثير نقاشاً أكاديمياً علنياً حول أسئلة مفتوحة وبحاجة إلى إجابات تتعلق بنظرية وممارسة الغفرانات.

٤١. لعبت قضية الغفرانات دوراً مهماً في مفهوم التقوى في ذلك الوقت. وقد فُهم الغفران على أنه صفحٌ عن عقاب زمني سببه خطايا كان قد غفر ذنبها. وكان المسيحيون يقدرون أن ينالوا غفرانا بشروط محددة – مثل الصلاة وأعمال المحبة والصدقة – من خلال عمل الكنيسة التي كان يُعتقد أنها تعطي وتطبق على التائبين كنوز استحقاقات المسيح والقديسين.

٤٢. بحسب رأي لوثر فإن ممارسة الغفرانات تضرّ بالروحانية المسيحية. وتساءل هل يمكن للغفرانات أن تحرر التائبين من عقابات فرضها الله. وهل يتحول أي عقاب يفرضه الكهنة إلى المطهر؟ وهل يعني هدف العقاب الشفائي أو التطهيري أنّ التائب توبة صادقة يفضل العقوبات ومعاناتها بدلاً من التحرر منها؟ ثم أليس من الأفضل ان يعطى للفقراء المال المقدم لنيل الغفرانات؟ وتساءل أيضاً عن طبيعة كنز الكنيسة الذي كان البابا يمنح منه الغفرانات.

تقديم لوثر إلى المحكمة

٤٣. انتشرت الاحتجاجات الخمس والتسعون بسرعة في جميع أنحاء ألمانيا وأحدثت ضجة عارمة كما أحدثت ضرراً بالغاً لحملات الغفران. أشيع عندها أن لوثر سوف يُتّهم بالهرطقة.

وفي كانون الأول من عام ١٥١٧ بعث رئيس أساقفة ماينز بالاحتجاجات الخمس والتسعين إلى روما مع مواد إضافية لدراسة لاهوت لوثر.

٤٤. فوجئ لوثر برد الفعل على أطروحاته، ولا سيّما أنه لم يكن يخطط لإثارة حدث علني بل لإقامة نقاش أكاديمي. وخشي أنه يمكن بسهولة أن يُساء فهم أطروحاته إذا قرأها جمهور واسع. ولهذا وفي نهاية شهر آذار ١٥١٨ نشر عِظة باللغة العامية "حول الغفران والنعمة". كانت هذه النشرة ناجحة على نحو استثنائي مما جعل لوثر معروفاً لدى الجمهور الألماني. ولقد أصرّ لوثر مراراً على أن احتجاجاته، باستثناء المقترحات الأربعة الأولى، ليست خلاصة نهائية بل مقترحات مكتوبة للمناقشة.

٤٥. اهتمت روما بأن لا تكون تعاليمُ لوثر سببا لتدمير عقيدةِ الكنيسة وسلطةَ البابا في روما. فدُعي لوثر إلى روما للدفاع عن لاهوته أمام محكمة خاصة. ولكن المحكمة انتقلت إلى ألمانيا إلى المجلس الإمبراطوري في أوغسبرغ بناء على طلب الأمير المنتخب لمقاطعة سكسونيا فردريك الحكيم (Frederick the Wise)، حيث فُوِّضَ الكاردينال كايتانُس (Cardinal Cajetan) باستجواب لوثر. ونصّ هذا التفويض البابوي أن على لوثر أن يتراجع عمّا كتبه، وإلا فإن للكاردينال السلطة أن يحرمه فوراً أو أن يعتقله ويأتي به إلى روما. وبعد الاجتماع أرسل كايتانُس من أوغسبرغ بياناً للسلطة التعليمية في روما، فأصدره البابا حالاً وبشكل رسمي ودون إبداء أي ردّ على احتجاجات لوثر.[١٣]

٤٦. ورافق القضية في كل مدة انعقاد المحاكمة التباس مستمرّ أدى إلى حرمان لوثر. عرض لوثر أسئلة للنقاش وقدم حججه. وكان مع الجمهور الذي كان يتابع الأحداث من خلال نشرات وكتيبات عن موقفه وعن المحاكمة، كان ينتظر ردًّا على حججه. وقد وُعِدَ لوثر بمحاكمة عادلة. على أية حال، ورغم أنه وُعد أنه سيُسمح له بالدفاع عن نفسه في المحكمة، فقد تسلم الرسالة مرّة تلو الأخرى أنه إما أن يتراجع عن موقفه وإما أن يُعلَن أنه هرطوقي.

٤٧. في الثالث عشر من تشرين الأول ١٥١٨، وفي إعلان احتجاجي رسمي (*protestation*) أعلن لوثر أنه على اتفاق مع الكنيسة الكاثوليكية ولكنه لا يستطيع أن

[13] Leo X, *Cum postquam*, 9 November 1518, DH 1448, cf. 1467 and 2641.

يتراجع عن موقفه إلا إذا أُقنِع أنه على خطأ. وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه أصرّ ثانية على أنه يفكر ويعلّم في إطار تعليم الكنيسة الكاثوليكية.

لقاءات فاشلة

٤٨. كان الكاردينال كايتانُس قد درس بدقة شديدة كتابات لوثر، بروفيسور فيتنبرج، وكتب حتى بحوثاً عنها. إلا أنه شرح أعمال لوثر بحسب فهمه الخاص لها، فأساء فهم لوثر بالنسبة إلى تأكيد الخلاص بناء على الإيمان، ولو أنه قدم عرضاً مفصَّلاً دقيقاً وصحيحاً عن موقف لوثر. ولم يكن لوثر من ناحيته ذا اطلاع حسن على لاهوت كايتانُس. وفي أثناء التحقيق، كان النقاش محدودًا وكان يُطلَب منه فقط التراجع عن موقفه. ولم تتوفر الفرصة للوثر لفهم موقف الكاردينال. إنها لمأساة أن يتواجه اثنان من لاهوتيي القرن السادس عشر البارزين في محكمة للحكم على أحدهما بالهرطقة.

٤٩. تطور لاهوت لوثر بسرعة في السنين التالية، مثيراً مواضيع جدلية جديدة. وقد حرص لوثر اللاهوتي المدان على الدفاع عن موقفه لاكتساب حلفاء له في مقاومة الذين كانوا على وشك إعلانه هرطوقياً. فظهرت منشورات كثيرة في الاتجاهين المتعارضين، إذ ساند بعضهم لوثر وعارضه البعض الآخر. ولكن لم يجرِ سوى جدال واحد، وذلك في العام ١٥١٩ في لايبزغ (Leipzig)، بين أندرياس بودنشتاين فون كارلشتادت (Andreas Bodenstein von Karlstadt) ولوثر من جانب، ويوهانس إيك (Johannes Eck) من جانب آخر.

إدانة مارتن لوثر

٥٠. استمرت الدعوى القضائية ضد لوثر خلال هذه الفترة إلى أن قرر البابا لاون العاشر (Pope Leo X) أن يتدخل. بحكم "المهام الرعوية"، شعر البابا لاون العاشر أنه مُجبر على أن يحمي "الإيمان المستقيم" من أولئك الذين "يحرفون الكتاب المقدس ويزيفونه"، حتى أن هذا

الإيمان "لم يعد إنجيل المسيح".[١٤] فأصدر في ١٥ حزيران ١٥٢٠مرسوماً بابوياً بعنوان "هيّا قُمْ يا رب" (*Exsurge Domine*) أدان فيه إحدى وأربعين قضية تعليمية أُخِذَت من منشورات لوثر التعليمية المختلفة. وبالرغم من وجودها في كتابات لوثر وصحة اقتباسها فقد اقتطعت هذه التعاليم من سياقها الخاص. وصف هذا المرسوم هذه التعاليم على أنها "هرطوقية أو مثيرة للشك أو خاطئة أو مؤذية للآذان التقية أو خطرة على العقول البسيطة أو مفسدة للحقيقة الكاثوليكية"[١٥] ولكن من دون تحديد أي وصف ينطبق على أية قضية. وفي نهاية المرسوم البابوي عبّر البابا عن إحباطه لأن لوثر فشل في الرد على عرضه للحوار. ومع ذلك فهو يأمل أن يختبر لوثر تجديداً في قلبه ويعود عن أخطائه. وقد منح البابا لاون العاشر لوثر ستين يوماً ليتراجع عن موقفه، فإما أن يتراجع عن أخطائه وإما أن يواجه الحرمان.

٥١. دعا إيك (Eck) وأليِاندِر (Aleander) اللذان نشرا المرسوم البابوي في ألمانيا إلى حرق كتابات لوثر. رداً على ذلك، وفي ١٥ كانون الأول ١٥٢٠ أحرق بعض لاهوتيي الإصلاح في فيتنبرج إلى إحراق بعض الكتب، تعرف اليوم بأنها كتب "في الحق القانوني الكنسي"، وبعض كتب لمعارضي لوثر، وألقى لوثر بالمرسوم البابوي في النار. ولهذا أضحى واضحاً أن لوثر لم يكن مستعداً للتراجع عن موقفه، فُحرم لوثر بالمرسوم البابوي (*Decet Romanum Pontificem*) أي: "من واجب الحبر الروماني"، في الثالث من كانون الثاني عام ١٥٢١.

سلطة الكتاب المقدس

٥٢. تحول الصراع من صراع حول الغفرانات إلى صراع حول السلطة. وقد فقدت الإدارة البابوية سلطتها في نظر لوثر وذلك لإلحاحها رسمياً على سلطتها بدلاً من المناقشة بناء على أدلة من الكتاب القدس. في مُستهل الصراع اعتبر لوثر أن السلطات اللاهوتية للكتاب المقدس

[14] Peter Fabisch and Erwin Iserloh (eds), *Exsurge Domine in Dokumentezur Causa Lutheri (1517–1521)*, vol. 2 (Münster: Aschendorffsche, 1991), 366; *Exsurge Domine*, DH1451–1492, also at www.ewtn.com/library/papaldoc/l10exdom.htm.
[15] Ibid., p. 368.

وآباء الكنيسة والتقاليد الكنسية القانونية كانت تشكل وحدة واحدة. ولكن هذه الوحدة تحطمت لاحقاً عندما استنتج لوثر أن القوانين كما يُفَسرّها المفسرون الكاثوليك في روما تتناقض مع الكتاب المقدس. وبالنسبة إلى الجانب الكاثوليكي، لم يكن النقاش حول سيادة الكتاب المقدس، إذ هو أمرٌ يُقرّون به، بل حول التفسير الصحيح للكتاب المقدس.

٥٣. عندما لم يرَ لوثر أساساً كتابياً لبيانات روما، بل اعتقد أنها تناقض رسالة الكتاب المقدس، شرع يفكر أن البابا هو "المسيح الدجال". وبهذا التصريح المثير للجدل – حتى بإقرار لوثر –كان لوثر يقصد أن البابا لم يسمح للمسيح أن يقول ما أراد أن يقوله المسيح وأن البابا جعل نفسه فوق الكتاب المقدس بدلاً من الخضوع لسلطته. ادعى البابا أن منصبه مؤسس "بحقّ إلهيّ"، على حين لم يتمكن لوثر من إيجاد أدلة كتابية على هذا الادعاء.

لوثر في فورمس (Worms)

٥٤. بحسب قوانين الإمبراطورية الرومانية المقدسة الخاصة بالشعب الألماني، فإن الشخص الذي يقع عليه الحرمان الكنسي سيخضع في الوقت نفسه لحرمان الإمبراطورية. على أن أعضاء مجلس فورمس طلبوا أن تحقّق سلطة مستقلة مع لوثر. فاستدعي لوثر (الذي صدر في حقه الإعلان بأنه هرطوقي) إلى فورمس وضمن له الإمبراطور الأمان ليدخل المدينة. توقع لوثر مناظرة داخل المجلس، وبدلاً من ذلك طُرح عليه السؤال هل هو كاتب بعض المؤلفات الموضوعة على الطاولة التي أمامه وهل هو على استعداد أن يتراجع عما كتب؟

٥٥. ردّ لوثر على هذا العرض بكلماته الشهيرة: "إلا إذا اقتنعت بشهادة الكتاب المقدس، أو بمنطق واضح (لأنني لا أثق بالبابا ولا بالمجالس وحدها لان من المعروف جيداً بأنهم أخطأوا كثيراً وناقضوا أنفسهم)، فأنا ملتزم بالكتاب المقدس الذي اقتبست منه، وضميري أسير لكلمة الله. فلا أقدر ولا أريد أن أتراجع عن شيء، لأنه ليس من الأمان بل ليس بالأمر الصحيح أن أناقض ضميري. ليساعدني الله. آمين."[١٦]

[16] Luther, Luther at the Diet of Worms, tr. Roger A. Hornsby, in *LW* 32:112–3.

٥٦. ردّ الإمبراطور شارل الخامس (Emperor Charles V) بخطاب مميز أوضح فيه نياته. فأشار إلى أنه ينتمي إلى سلسلة طويلة من الملوك الذين اعتبروا أن واجبهم هو الدفاع الدائم عن الإيمان الكاثوليكي "لخلاص النفوس" وأنه يقوم بالواجب نفسه. واعتمد في جداله على أن راهباً منفرداً يخطئ عندما يؤمن برأي يعارض موقف المسيحية عبر السنوات الألف المنصرمة.[١٧]

٥٧. اعتبر مجلس فورمس لوثر خارجاً عن القانون وينبغي اعتقاله أو حتى قتله وأمر الحكام بقمع "الهرطقة اللوثرية" بأية وسيلة. ولكن بما أن مواقف لوثر كانت مقنعة لكثير من الأمراء والمدن، فإنهم امتنعوا عن تنفيذ القرار.

بدايات حركة الإصلاح

٥٨. بدا فهم لوثر للإنجيل مقنعاً لعدد متزايد من الكهنة والرهبان والوعاظ الذين حاولوا تبني هذا الفهم في عظاتهم. وقد ظهرت علامات واضحة في هذا الشأن فقد تناول العلمانيون الشركة المقدسة تحت الشكلين، وتزوج بعض الكهنة والرهبان، وتوقف البعض عن التقيد بقوانين الصيام وأنظمته، وظهر في بعض المواقف عدم احترام للأيقونات والصور والذخائر.

٥٩. لم يقصد لوثر أن ينشئ كنيسة جديدة، بل كان اهتمامه ورغبته العميقة الاصلاح في مجالات عديدة. وأخذ يلعب دوراً متزايداً، محاولاً الإسهام في إصلاح الممارسات والعقائد التي بدت قائمة على سلطة بشرية فقط، وكانت بعيدة عن الكتاب المقدس أو مناقضة له. وفي مقالته "للنبلاء الألمان" (To the German Nobility) في عام ١٥٢٠ دافع عن كهنوت جميع المعمدين وبالتالي عن دور أكبر للعلمانيين في إصلاح الكنيسة. وقد لعب العلمانيون دوراً مهماً في حركة الإصلاح سواء أكانوا أمراء أم إقطاعيين أم أناساً عاديين.

[17] Fritz Reuter (ed.), *Der Reichstag zu Worms von 1521: Reichspolitik und Luthersache*, vol. 2 (Köln and Wien: Böhlau, 1981), 226–29; see also *LW* 32, 114–15, n. 9.

الحاجة إلى المراقبة

٦٠. بما أنه لم يكن هناك خطة مركزية أو مؤسسة مركزية لتنظيم الإصلاح، فقد اختلف الوضع بين مدينة وأخرى أو بين قرية وأخرى. فبرزت الحاجة إلى تنظيم زيارات رعوية تفقدية. وإذ تطلب هذا الأمر موافقة الأمير أو النبلاء، طلب المصلحون من الأمير المنتخب لمقاطعة سكسونيا أن يؤسس لجنة زيارات رعوية تفقدية ويسمح لها بالعمل وذلك عام ١٥٢٧. ولم تقتصر مهمتها على تقييم العظات وخدمة العبادة العامة وحياة رجال الدين فحسب، بل عليها أيضاً أن تضمن لهم إيرادات لمعيشتهم الشخصية.

٦١. نصّبت اللجنة ما يشبه الحكومة الكنسية. وكُلّف الرؤساء بمهمة الإشراف على الخدام المرسومين في كلّ إقليم ومراقبة عقائدهم ونمط حياتهم. وفحصت اللجنة أيضاً ترتيب طقوس العبادة وأشرفت على وحدة هذه الطقوس. وفي العام ١٥٢٨ نشر كتاب دليل للخدام يعالج أهم العقائد والمشكلات العملية. وقد لعبت هذه اللجان دوراً مهماً في تاريخ العقيدة في مختلف التوجهات اللوثرية.

تقديم الكتاب المقدس إلى الشعب

٦٢. ترجم لوثر الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية مع زملائه في جامعة فيتنبرج، وذلك لكي يتمكن العدد الأكبر من الشعب من قراءته بأنفسهم، ومن الانخراط في المعرفة الروحية واللاهوتية لخدمة حياتهم الكنسية. ولذلك السبب أنشأ المصلحون اللوثريون مدارس لكلا الجنسين وقاموا بجهود لإقناع الأهالي بإرسال أبنائهم إلى هذه المدارس.

التعليم المسيحي والترانيم

٦٣. كتب لوثر كتاب تعليم ديني لتحسين المعرفة الضعيفة في الإيمان المسيحي بين الخدّام والعلمانيين وأطلق عليه اسم كتاب التعليم المسيحي الصغير أو الكاتخسموس الصغير Small

(Catechism) وقد كتبه لكلّ القراء. ثم ألفّ كتاباً آخر دعاه كتاب التعليم المسيحي الكبير أو الكاتخسموس الكبير (Large Catechism) للخدّام والعلمانيين المثقفين. وشرح في الكتابين الوصايا العشر والصلاة الربانية وقانون الإيمان المسيحي والسريّن المقدسين أي المعمودية المقدسة والعشاء الرباني. على أن كتاب التعليم المسيحي الصغير، وهو أكثر كتب لوثر تأثيرًا، فقد عزّز معرفة الإيمان بين عامة الشعب.

٦٤. وكان القصد من وراء كتب التعليم المسيحي هذه مساعدة الناس أن يعيشوا حياة مسيحية وأن يكتسبوا القدرة على التمييز اللاهوتي والروحي. ووضحت هذه الكتب أن الإيمان بالنسبة إلى المصلحين لم يكن مجرّد الثقة بالمسيح وبوعوده فحسب، بل يجب أيضاً تأكيد مضمون الإيمان ووجبَ أن نتعلّمه.

٦٥. وألّف المصلحون ترانيم ونشروا كتب الترانيم، وذلك من أجل تشجيع العامة على المشاركة في الخدمات الكنسية. وتركت هذه الترانيم أثراً واضحاً ثابتاً في الروحانية اللوثرية وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من إرث ثمين للكنيسة جمعاء.

خدام الرعايا

٦٦. أصبح الآن في الرعايا اللوثرية الكتاب المقدس باللغة العامية المعروفة آنذاك، وكتب التعليم المسيحي، والترانيم، ونظام كنسي، ونظام الخدمات الكنسية. وبقيت هناك مشكلة رئيسية، وهي توفير الخدام للرعايا. وكان الكثير من الكهنة والرهبان قد تحولوا في سنوات الإصلاح الأولى إلى خدام لوثريين، وكان عددهم يفي الغرض. ولكن تبيّن سريعًا أن هذا النهج في إيجاد خدام الرعايا لم يعد كافياً.

٦٧. من الملفت إلى الانتباه أن المصلحين انتظروا حتى عام ١٥٣٥ قبل أن يقوموا بخدمات رسامة خاصة بهم في فيتنبرج في ألمانيا. وفي إقرار أوغسبرغ الذي صيغ عام ١٥٣٠ أعلن المصلحون بأنهم كانوا مستعدين لإطاعة الأساقفة إذا وافقوا على السماح بالوعظ بالإنجيل بحسب إيمان الإصلاح. ولكن هذا لم يحصل. فكان على المصلحين أن يختاروا بين خيارين: إما الحفاظ على الطريقة التقليدية لرسامة الكهنة على يد الأساقفة، وبالتالي التخلّي عن الوعظ

بحسب إيمان الإصلاح، وإما أن يحافظوا على هذا الإيمان ويقوموا برسامة قسسٍ على يد قسسٍ آخرين. فاختار المصلحون الخيار الثاني، مستندين على تقليدٍ يفسر "الرسائل الراعوية" يعود إلى زمن إيرونيمُس أو جيروم (Jerome) في الكنيسة الأولى.

٦٨. وقام لاهوتيون، أعضاء في الهيئة التدريسية في كلية اللاهوت في فيتنبرج، نيابة عن الكنيسة، بامتحان المرشحين الجدد للرسامة والنظر في عقيدتهم وسيرتهم. وتمت الرسامات في فيتنبرج وليس في رعايا المرسومين، إذ إن الخدام كانوا يرسمون من أجل خدمة كل الكنيسة. وكانت طقوس الرسامة تؤكد على موافقة المرسومين على تعاليم الكنيسة الجامعة. وكانت الرسامة تقوم بوضع الأيدي وصلاة الروح القدس.

المحاولات اللاهوتية للتغلب على الصراع الديني

٦٩. حاول إقرار أوغسبرغ (١٥٣٠) تسوية الصراع الديني الذي سببه الإصلاح اللوثري. قدم الجزء الأول من الإقرار (البنود ١-٢١) التعاليم اللوثرية على أنها متفقة مع تعليم "الكنيسة الجامعة، أو الكنيسة الكاثوليكية".[١٨] وذكر الجزء الثاني (البنود ٢٢-٢٨) التغييرات التي بادر بها المصلحون لتصحيح بعض الممارسات التي فُهِمَت على أنها "ممارسات خاطئة"، وبيَّن الأسباب التي أوجبت هذه التغييرات. وينص الإقرار في نهاية الجزء الأول: "في هذا تلخيص شبه كامل لتعاليمنا. ومن الواضح أن لا شيء فيها يخالف الكتاب المقدس أو الكنيسة الجامعة، ولا حتى الكنيسة الكاثوليكية، هذا ما يؤكده كاتبو هذه التعاليم. وبما أن الأمر كذلك، فالذين يدَّعون أن جماعاتنا هي هرطوقية فدينونتهم باطلة وخاطئة".[١٩]

٧٠. إن إقرار أوغسبرغ لهو شهادة قوية على قصد المصلحين اللوثريين الحفاظ على وحدة الكنيسة والبقاء ضمن الكنيسة المرئية. وتمّ وبشكل صريح عرض الاختلافات على أنها غير أساسية بل ثانوية، وهذا شبيه بما نقول فيه اليوم إن هناك اختلافاً في إجماع الرأي.

---

[18] The Augsburg Confession, Latin text, in Robert Kolb and Timothy J. Wengert (eds), *The Book of Concord: The Confessions of the Evangelical Lutheran Church* (Minneapolis, MN: Fortress, 2000), 59.

[19] Ibid.

٧١. ورأى بعض اللاهوتيين الكاثوليك مباشرة الحاجة إلى الردّ على إقرار أوغسبرغ، وأصدروا بشكل فوري دحضاً لهذا الإقرار. تتبع هذا الدحض وبشكل منهجي نصّ الإقرار وحججه. وكان بمقدور الدحض الموافقة مع إقرار أوغسبرغ في تأكيد عدد من التعاليم المسيحية الأساسية مثل الثالوث الأقدس والمسيح والمعمودية. ولكن الدحض رفض عدداً من التعاليم اللوثرية في عقائد تتعلق بالكنيسة والأسرار على أساس الكتاب المقدس وشهادة آباء الكنيسة. وبما أن اللوثريين لم يقتنعوا بالحجج المتضمنة في الدحض، تمّ إنشاء حوار في أواخر آب ١٥٣٠ من أجل التقريب بين الفروقات في "الإقرار" وفي "الدحض"، لكن هذا الحوار لم يتمكن من تسوية الفروقات في القضايا المتعلقة بالكنيسة والأسرار.

٧٢. وأقيمت محاولات أخرى للتغلب على النزاع في اللقاءات المسمّاة "محادثات دينية" (*Religionsgespräche*)، وذلك في مدينتي شبيّر وهاجيناو (Speyer/Hagenau) في عام ١٥٤٠ وفي فورمس (Worms) في الأعوام ١٥٤٠ و١٥٤١، وفي ريجنزبورج (Regensburg) عام ١٥٤١–١٥٤٦. وقد دعا إلى هذه الندوات الإمبراطور أو أخوه الملك فيرديناند (Ferdinand)، وجرت بقيادة ممثل للإمبراطور. وكان الهدف إقناع اللوثريين بالعودة إلى قناعات خصومهم. وقد لعبت المراوغات والمؤامرات والضغط السياسي دوراً مهماً فيها.

٧٣. توصل المفاوضون إلى الاتفاق على وثيقة قيّمة في ما يختص بعقيدة التبرير، في "كتاب ريجينسبورغ" (*Regensburger Buch*) في عام ١٥٤١. أما الخلاف حول عقيدة الإفخارستيا فقد بدا عصيّاً على الحل. وفي النهاية رفض كل من روما ولوثر النتائج، مما أدى إلى إخفاق نهائي لهذه المحادثات.

الحرب الدينية وصلح أوغسبرغ

٧٤. كان الهدف من حرب سمالكالد (Smalcald War) (١٥٤٦–١٥٤٧) التي شنّها الإمبراطور شارل الخامس على المناطق اللوثرية هزيمة الأمراء وإجبارهم على إلغاء التغييرات.

فنجح الإمبراطور في البداية وانتصر في الحرب (٢٠ تموز ١٥٤٧)، ووصلت قواته إلى فيتنبرج، حيث منع الإمبراطور جنوده من إخراج جثة لوثر من القبر وإحراقها.

٧٥. وفرض الإمبراطور في مجلس أوغسبرغ (١٥٤٧-١٥٤٨) ما يعرف بدعى بقوانين وثيقة أوغسبرغ المؤقتة على اللوثريين، مما قاد إلى صراعات لا نهاية لها في المناطق اللوثرية. وقد شرحت هذه الوثيقة التبرير بالدرجة الأولى على أنه نعمة تحفّز على المحبة، وشددت على الخضوع للأساقفة والبابا، على أنها سمحت بزواج الكهنة وتناول الشركة المقدسة تحت العنصرين.

٧٦. وقام بعض الأمراء في عام ١٥٥٢ بمؤامرة على الإمبراطور وشنّوا حرباً جديدة عليه، مما اضطره إلى الهرب من النمسا. وهذا أدى إلى معاهدة سلام بين الأمراء اللوثريين والملك فيرديناند. وهكذا أخفقت محاولة القضاء على "الهرطقة اللوثرية" بالوسائل العسكرية.

٧٧. انتهت الحرب بصلح أوغسبرغ عام ١٥٥٥. وكانت المعاهدة محاولة لإيجاد طرق يعيش فيها مواطنون ذوو قناعات دينية مختلفة معاً في بلد واحد. ونصت اتفاقية الصلح على قبول المناطق والمدن التي اعتمدت إقرار أوغسبرغ إضافة إلى المناطق الكاثوليكية ضمن الإمبراطورية الألمانية، ولكن لم يتم الاعتراف بمن يؤمنون بمعتقدات أخرى كالكنائس المصلحة (Reformed) والأنابابتستيون أو معيدو المعمودية (Anabaptists). وأعطي للأمراء والنبلاء الحق في تحديد ديانات رعاياهم، فإذا بدّل الأمير ديانته وجب على الناس القاطنين في منطقة نفوذه أن يبدلوا ديانتهم أيضاً، ما عدا المناطق التي يحكمها أساقفة أمراء. وأُعطي للمواطنين الحق في الهجرة إذا لم يقبلوا إيمان الأمير.

مجمع ترنتو

٧٨. اجتمع مجمع ترنتو (The Council of Trent) (١٥٤٥- ١٥٦٣) بعد إصلاح لوثر بجيل واحد، وابتدأت اجتماعاته قبل حرب شمالكلد (Smalcald War) (١٥٤٦-١٥٤٧) وانتهت بعد صلح أوغسبرغ (١٥٥٥). وقد حدد المرسوم البابوي "افرحي يا أورشليم" (Laetare Jerusalem) (١٩ تشرين الثاني ١٥٤٤) جدول أعمال بثلاث نقاط:

معالجة الانقسام العقائدي أو الديني، إصلاح الكنيسة، وإقامة السلام، لوضع خطة دفاع في وجه العثمانيين.

٧٩. وقرر المجلس أن يكون في كل جلسة قرار عقائدي يؤكد إيمان الكنيسة وقرار يختص بنظام الكنيسة يساعد على إصلاحها. وعلى العموم فإن القرارات العقائدية لم تقدم تقريراً لاهوتياً شاملاً عن الإيمان، بل ركزت على العقائد المتنازع عليها مع المصلحين بطريقة تشدد على نقاط الاختلاف.

الكتاب المقدس والتقليد

٨٠. إذ رغب المجمع في المحافظة على "نقاوة الإنجيل من جميع الأخطاء والتشويهات"، أيّد قرارًا حول مصادر الوحي في ٨ نيسان ١٥٤٦. رفض المجمع مبدأ "الكتاب المقدس وحده" (*sola sciptura*)، دون تسميته بوضوح، وذلك برفض عزل الكتاب المقدس عن التقليد. وأقرّ المجمع أن الإنجيل هو "مصدر الحقيقة الكاملة للخلاص وقاعدة السلوك" وأنه "حفظ في الكتب المدونة والتقاليد غير المكتوبة"، دون أن يحل مشكلة العلاقة بين الكتاب المقدس والتقليد. إضافة إلى ذلك، علّم المجمع أن التقاليد الرسولية المتصلة بالإيمان والأخلاق "محفوظة في تسلسل غير منقطع في الكنيسة الكاثوليكية". ينبغي أن يُقبل الكتاب المقدس والتقليد "بمشاعر التقوى والخشوع".[٢٠]

٨١. نشر القرار قائمة بالكتب المقدسة القانونية من العهدين القديم والجديد.[٢١] وألحَّ المجمع أن الكتاب المقدس ينبغي ألاّ يُفسر بما يناقض تعليم الكنيسة أو تعليم آباء الكنيسة بالإجماع. وأخيراً أعلن المجمع أن طبعة الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس "الفولجاتا" (Vulgata) هي النص الأصيل الموثوق به للاستخدام في الكنيسة.[٢٢]

[20] Council of Trent, Fourth Session, 8 April 1546, Decree Concerning the Canonical Scriptures.
[21] Ibid.
[22] Ibid.

التبرير

٨٢. أما بالنسبة إلى التبرير فقد رفض المجمع بوضوح من جهة العقيدة "البيلاجية" (Pelagian) القائلة إن التبرير يتم بالأعمال فقط، ومن جهة أخرى عقيدة التبرير بالإيمان وحدَه (*sola fide*). وعرّف الإيمان على أنه في المقام الأول قبول العقيدة الموحى بها. وأكد المجمع على أنّ المسيح هو الأساس للتبرير، وذلك بالتأكيد على أن الإنسان يتَّحد بالمسيح، وأن نعمة الله ضرورية لكل مرحلة من مراحل التبرير، رغم أنه وخلال هذه المراحل هناك استعدادات أو تعاون من قبل حرية الإنسان لقبول النعمة. وصرّح المجمع أن جوهر التبرير ليس غفران الخطايا وحده فحسب، بل أيضاً "تقديس الإنسان الداخلي وتجديده" بالمحبة فائقة الطبيعة.[٢٣] فالسبب الأساسي للتبرير هو "برُّ الله، ليس البرّ الذي هو نفسه به بارّ، بل البر الذي به يجعلنا مبررين". والسبب النهائي للتبرير هو "مجد الله والمسيح والحياة الخالدة".[٢٤] المجمع أن الإيمان هو "بداية التبرير وأساسه وقاعدته".[٢٥] ويمكن أن تفقد نعمة التبرير بالخطيئة المميتة وليس بضياع الإيمان فقط، ويمكن إستعادتها بسر الاعتراف.[٢٦] وأكد المجمع أن الحياة الأبدية نعمة وليس فقط مكافأة.[٢٧]

الأسرار المقدسة

٨٣. ووصف المجمع في جلسته السابعة الأسرار المقدسة بأنها "الوسائل العادية والتي بها "يبدأ البرّ الحقيقي، أو يتقوى بعد منحه، أو يُسترجع إن فُقِد ".[٢٨] وقرر المجمع أن المسيح وضع سبعة أسرار، وعرّفها بأنها علامات فعّالة تعطي نعمةً من خلال الطقس نفسه (*ex opera operato*)، وليس فقط بفضل إيمان من يقبله.

[23]Council of Trent, Sixth Session, 13, January 1547, chapter VII.
[24]Ibid.
[25]Ibid., chapter VIII.
[26]Ibid., chapter XIV–XV.
[27]Ibid., chapter XVI.
[28]Council of Trent, Seventh Session, 3 March 1547, Foreword.

٨٤. وفي النقاش حول تناول القربان المقدس تحت الشكلين، أكد المجمع أن المسيح كاملاً غير منقسم يُقبَل تحت أي من العنصرين.[٢٩] بعد اختتام أعمال المجمع (١٦ نيسان ١٥٦٥) سمح البابا للعلمانيين بالشرب من كأس القربان في ظروف معينة لعدة مقاطعات كنسيّة في ألمانيا والمقاطعات الوراثية لآل هابسبرج (Habsburgs).

٨٥. وردّاً على رفض المصلحين لفكرة أن القداس هو ذبيحة، أكد المجمع أنّ القداس الإلهي هو ذبيحة استغفار تجعل ذبيحة الصليب حاضرة. وعلّم المجمع أنه وبما أنه في القداس يقدم المسيح الكاهن تقدمات القربان نفسها كما على الصليب، ولكن بطريقة مغايرة، فإن القداس ليس إعادة لتضحية الجلجلة التي قُدمت مرة واحدة وللأبد. وعرّف المجمع أن القدّاس يُمكن أن يقدَّم لتكريم القديسين أو على نية المؤمنين الأحياء أو الأموات.[٣٠]

٨٦. ووضّح القرار في الرتب الكهنوتية المقدسة طبيعة السرّ المقدس للرسامة ووجود سلطة تراتبية في الكنيسة قائمة على تدبير إلهي.[٣١]

الإصلاحات الرعوية

٨٧. بادر المجمع أيضاً بإصلاحات رعوية. فنادت القرارات الإصلاحية إعلاناً أكثر فاعلية لكلمة الله من خلال تأسيس المعاهد الدينية لتدريب الكهنة تدريباً أفضل، ومن خلال ضرورة الوعظ أيام الأحد والأعياد. وفُرِض على الأساقفة والقساوسة الإقامة في أبرشياتهم وفي رعاياهم. وألغى المجمع بعض مظاهر الفساد في شؤون الولاية القضائية والرسامة والرعاية والأوقاف والغفرانات. وفي الوقت نفسه وسّع صلاحيات السلطة الأسقفية. وأتاح للأساقفة القيام بزيارات تفقدية رعوية، والإشراف على العمل الرعوي للرهبنات وبعض الهيئات الكنسية المستقلة. وهيّأ للقيام بسينودسات في المقاطعات أو الأبرشيات الكنسية. ومن أجل توصيل أفضل للإيمان، شجع المجمع وضع كتب التعليم المسيحي، مثل كتب تعليم بيتر من كانيسيوس (Peter of Canisius). وهيأ لنشر كتاب التعليم المسيحي الكاثوليكي.

[29]Council of Trent, Twenty-first Session, 16 July 1562, chapter III, can. 2.
[30]Council of Trent, Twenty-second Session, 17 September 1562, chapter II, can. 3.
[31]Council of Trent, Twenty-third Session, 15 July 1563, chapters III and IV.

النتائج

٨٨. لم يصدر مجمع ترنتو أحكاماً في حق أفراد أو جماعات، بل حرّم مواقف عقائدية محددة، على الرغم من كونه لدرجة كبيرة ردّاً على الإصلاح اللوثري. ولأنّ القرارات العقائدية كانت في معظمها ردًّا على ما كانت تراه أخطاء بروتستانتية، فقد خلق هذا المجمع بيئة جدلية متخاصمة بين البروتستانت والكاثوليك، كانت تنزع إلى تثبيت المواقف الكاثوليكية بناءً على موقفها الرافض للبروتستانت. بهذا الموقف، عكست تلك القرارات نهج الكتابات اللوثرية العقائدية التي عرّفت هي أيضاً المواقف اللوثرية بناءً على التعاليم التي تعارضها. وحدّد مجمع ترنتو معالم الهوية الكاثوليكية من ذلك الوقت وحتى انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني.

٨٩. في نهاية الاجتماع الثالث لمجمع ترنتو تمّ الاعتراف بمرارة أن وحدة الكنيسة في العالم الغربي قد تحطمت. فقد نشأت هيكليات كنسية جديدة في الأقاليم اللوثرية. وضمن صلح أوغسبرغ (١٥٥٥) في البداية علاقات سياسية مستقرة، غير أنه لم يحل دون صراع أوروبي أكبر في القرن السابع عشر، حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨– ١٦٤٨). وظلّ تأسيس دول قومية علمانية، على أساس ديني واضح، عبئاً موروثاً منذ عصر الإصلاح.

المجمع الفاتيكاني الثاني

٩٠. لقد حدد مجمع ترنتو معالم العلاقات الكاثوليكية اللوثرية لعدة قرون، ولكن علينا اليوم أن نقيّمه من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢– ١٩٦٥). سمح هذا المجمع للكنيسة الكاثوليكية بالانضمام إلى الحركة المسكونية وأن تترك وراءها الأجواء المشحونة المضطربة من المرحلة التي تلت الإصلاح. كان هناك عدة وثائق أساسية للمسكونية الكاثوليكية: دستور عقائدي في الكنيسة (*Lumen Gentium*)، وقرار في الحركة المسكونية (*Unitatis Redintegratio*)، وبيان في الحرية الدينية (*Humanae Dignitatis*) ودستور عقائدي في الوحي الإلهي (*Dei Verbum*). وإذ أكدَ الفاتيكان أن كنيسة المسيح تستمر في الكنيسة الكاثوليكية، فإنه أقرّ أيضاً أنه يوجد "عناصر عديدة من القداسة والحقيقة لا تزال قائمةً خارج

هيكليتها المنظورة. هذه مواهب خاصة بكنيسة المسيح، وهي قوة دافعة إلى وحدة الكنيسة الجامعة" (*LG* 8). وكان ثمة ادراك ايجابي لما يشارك فيه الكاثوليك كنائس مسيحية مثل قوانين الإيمان، والمعمودية المقدسة والكتاب المقدس. ويؤكد لاهوت الشركة الكنسيّة أن المسيحيين الكاثوليك هم في شركة حقيقية، ولو كانت غير مكتملة، مع جميع الذين يعترفون بيسوع المسيح وهم معمّدون (*UR* 2).

الفصل الرابع

مواضيع أساسية في لاهوت مارتن لوثر في ضوء الحوار اللوثري–الكاثوليكي

٩١. منذ القرن السادس عشر والقناعات الرئيسية لكل من مارتن لوثر واللاهوت اللوثري هي موضوع خلاف بين الكاثوليك واللوثريين. وقد حللت الحوارات المسكونية والأبحاث العلمية هذه الخلافات وحاولت التغلب عليها بتحديد المصطلحات والمناهج الأفكار المختلفة والاهتمامات المتعددة التي لا تدعو بالضرورة إلى أن يقصي الواحد الآخر.

٩٢. في هذا الفصل يعرض الكاثوليك واللوثريون معاً بعض التأكيدات اللاهوتية الرئيسية التي طورها مارتن لوثر. لا يعني هذا الوصف المشترك أن الكاثوليك يوافقون على جميع ما قاله مارتن لوثر كما هو مبيّن هنا. ما زالت هناك حاجة متنامية ومستمرة للحوار المسكوني والتفاهم. وعلى أية حال بلغنا مرحلة في رحلتنا المسكونية تمكننا من إعطاء هذا الوصف المشترك.

٩٣. ومن المهم أن نفرق بين لاهوت لوثر واللاهوت اللوثري، وفوق كل شيء بين لاهوت لوثر وعقيدة الكنائس اللوثرية كما عبّرت عنها في كتاباتها المذهبية. وهذه العقيدة هي المرجعية الأولى في الحوارات المسكونية. ولكن من المناسب هنا التركيز على لاهوت لوثر لمناسبة الاحتفال في ٣١ تشرين الأول.

البناء الهيكلي لهذا الفصل

٩٤. سيركز هذا الفصل على أربعة موضوعات فقط من لاهوت لوثر: التبرير والإفخارستيا والخدمة (الكهنوتية) وعلاقة الكتاب المقدس مع التقليد. عولجت هذه المواضيع باستفاضة في

الحوارات الكاثوليكية– اللوثرية لمدى أهميتها في حياة الكنيسة ولسبب الاختلافات التي سببتها لعدة قرون. والعرض الآتي يجني نتائج هذه الحوارات.

٩٥. سوف يتم مناقشة كل موضوع في ثلاثة مراحل: سيتم أولاً عرض منظور لوثر حول كل من الموضوعات اللاهوتية الأربعة، يليه وصف موجز للتحفظات الكاثوليكية المتعلقة بكل موضوع. ثم سيُعرض ملخص يظهر تفاعل العقيدة الكاثوليكية مع لاهوت لوثر في الحوار المسكوني. سيلقي هذا القسم الضوء على ما اتُفق عليه وسيحدّد الاختلافات المتبقية.

٩٦. ثمة موضوع مهم لنقاش آخر يقوم على السؤال: كيف نستطيع أن نعمّق تقاربنا في القضايا التي ما زلنا نشدّد فيها على اختلافاتنا، وبخاصة لاهوت الكنيسة؟

٩٧. من المهم ملاحظة أن ليس جميع بيانات الحوار بين اللوثريين والكاثوليك تحمل نفس قدر الإجماع أو أن الكاثوليك واللوثريين قبلوها بالتساوي. أعلى مستويات القبول هي في "الإقرار المشترك حول عقيدة التبرير"، والذي وقع عليه ممثلو الاتحاد اللوثري العالمي والكنيسة الكاثوليكية في أوغسبرغ في ألمانيا في ٣١ تشرين الأول ١٩٩٩، ووافق عليه المجلس العالمي لكنيسة "الميثوديست" (World Methodist Council) عام ٢٠٠٦ . كما رحبّت الجهات الراعية بتقارير لجان الحوار الوطنية والعالمية الأخرى، غير أن هذه التقارير تختلف في مستوى تأثيرها على اللاهوت وحياة الجماعات الكنسية اللوثرية والكاثوليكية. ويشارك قادة الكنائس الآن في المسؤولية المتنامية في تقدير انجازات الحوارات المسكونية والترحيب بها.

إرث مارتن لوثر المتصل بالعصور الوسطى

٩٨. كان مارتن لوثر جزءاً لا ينفصل عن أواخر العصور الوسطى. ومن الممكن أن يكون في الوقت نفسه إما منفتحاً على لاهوت ذلك العصر، أو رافضاً ناقداً له، أو في مرحلة التجاوز إلى المرحلة القادمة في هذا اللاهوت. أصبح لوثر في عام ١٥٠٥ راهباً في الرهبنة الأوغسطينية في إيرفورت (Erfurt). وفي عام ١٥١٢ تسلم منصب أستاذ اللاهوت المقدس في مدينة " فيتنبرج"، وركَّز في أعماله اللاهوتية في المقام الأول على تفسير الكتاب المقدس. وكان ذلك منسجماً مع ما كان يتُوقع من راهب أن يقوم به ضمن قوانين رهبنة النساك

الأوغسطينيين، ألا وهو دراسة الكتاب المقدس والتأمل فيه، ليس للاستفادة الشخصية فحسب بل لإفادة الآخرين روحياً. وقد لعب آباء الكنيسة ولا سيما أغسطينُس دوراً حيوياً في تطوير لاهوت لوثر وشكله النهائي. فقد كتب عام ١٥١٧:"لاهوتنا ولاهوت القديس أغسطينُس في تقدُّم".[٣٢] وأشار إلى القديس أغسطينُس في مناظرات هايدلبرج (Heidelberg Disputation) عام ١٥١٨ على أنه "المفسر الأكثر إخلاصاً"[٣٣] للرسول بولس. إذاً، كان لوثر متأصلاً بعمق شديد في تقاليد آباء الكنيسة وكتاباتهم.

اللاهوت الرهباني والتصوفي

٩٩. كان للوثر موقف نقدي جليّ تجاه اللاهوتيين في الأوساط التدريسية الرسمية (Scholastics)، فقد عاش وفكر ومارس اللاهوت كراهب على النظام الأغسطيني مدّة عشرين عاماً في إطار التقليد اللاهوتي الرهباني. أعجب لوثر بلاهوت راهب هو برنارد دي كلِيرفُو (Bernard de Clairvaux) وثمّنه عالياً. كان مبدأ لوثر في تفسير الكتاب المقدس على أنه المكان للّقاء بين الله والإنسان، وفي هذا تشابه كبير مع منهجية برنارد في تفسير الكتاب المقدس.

١٠٠. وكان لوثر كذلك متجذراً في التقليد التصوفي السائد في أواخر العصور الوسطى. وقد وجد عوناً وتعزية في مواعظ جون تاولِر (John Tauler) (توفي عام ١٣٦١) وأحسّ بأن هذه المواعظ فيها فهم لفكره. كما أن لوثر نفسه نشر النص الصوفي" اللاهوت الألماني" (*Theologiadeutsch*) عام ١٥١٨ الذي كتبه مؤلف مجهول. فانتشر هذا النص وعُرف جيداً بفضل لوثر بعدما نشره.

١٠١. وكان لوثر خلال حياته ممتنّاً لرئيس رهبنته جون شتاوبتس (John of Staupitz) ولاهوته المتمركز حول المسيح، وقد وجد لوثر فيه عزاء في شدته. وكان شتاوبتس ممثلاً

[32] Luther, Letter to John Lang, Wittenberg, May 18, 1517, tr. Gottfried Krodel, in *LW*48:44; *WAB* 1; 99, 8.
[33] Luther, Heidelberg Disputation, tr. Harold J. Grimm, in *LW* 31:39; *WA* 1; 353, 14.

للتصوف المبني على صورة اتحاد المؤمن بالله مثل اتحاد العروسين، وعبر لوثر مراراً وتكراراً عن تأثره به، فقال: "أسس شتاوبتس هذه العقيدة"،[٣٤] ومدحه قائلاً: "هو أبي في العقيدة قبل كل شيء وأعانني على أن أولد في المسيح".[٣٥] وفي أواخر العصور الوسطى طُوّر لاهوت لجماعة المؤمنين العلمانيين. انعكس هذا اللاهوت (*Frömmigskeitstheologie*) على الحياة المسيحية في المجال العملي وكان موجهاً إلى الممارسة التقوية. وقد حفّز هذا اللاهوت لوثر على كتابة رسائل إلى جمهور المؤمنين من غير الكهنة، وتبنى كثيراً من الموضوعات نفسها وعالجها معالجة مميزة.

التبرير

مفهوم لوثر للتبرير

١٠٢. اكتسب لوثر واحداً من مبادئ الإصلاح الأساسية من خلال تأمله في سر الاعتراف، ولا سيما الآية في إنجيل متى ١٦:١٩ (فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ). وبفضل دراسته في أواخر العصور الوسطى، تدرّب أن يفهم أن الله يغفر للإنسان الذي يندم على خطاياه ويقوم بفعل يُظهر فيه أنه يُحب الله فوق كلّ شيء. ويستجيب الله لهذه المحبة حسب وعده، فيمنح من جديد نعمته وغفرانه (مبدأ: لن يحجب الله نعمته عن الإنسان الذي يعمل كل ما في وسعه)،[٣٦] ويتمكن الكاهن وحده فقط أن يعلن أن الله قد غفر ذنب التائب. لكن لوثر استنتج بفعل دراسته أن إنجيل متى ١٦ يقول عكس ذلك، أي أن الكاهن يصرّح أن التائب

[34] *WA* TR 1; 245, 12.
[35] Luther, Letter to Elector John Frederick, March 25, 1545, quoted in Heiko Obermann, *Luther: Man between God and the Devil*, tr. Eileen Walliser-Schwarzbart (New Haven& London: Yale University Press, 1989), 152; *WAB* 11; 67, 7f..
[36] *Facienti quod in se estdeus non denegatgratiam*. God will not deny his grace to the one who is doing what is in him.

صار باراً (قد تبرّر)، وهكذا يصبح الخاطئ في الواقع باراً بهذا العمل الذي قام به الكاهن نيابة عن الله.

كلمة الله بمنزلة الوعد

١٠٣. فهم لوثر كلمات الله ككلمات تخلق ما تقول، وهي بمثابة وعد. وتُقال كلمة الوعد هذه في مكان خاص وزمن خاص و من فم شخصٍ خاص، وهي موجهة إلى شخصٍ خاص. إن الوعد الإلهي موجه إلى إيمان المؤمن. والإيمان بدوره يفهم الوعد وعداً للمؤمن شخصياً. وأصرّ لوثر على أن إيماناً كهذا هو الردّ المناسب الوحيد على كلمة الوعد الإلهية. والإنسان مدعو إلى النظر بعيداً عن نفسه والنظر فقط إلى كلمة وعد الله والثقة بها ثقةً كاملة. وبما أن الإيمان يثبتنا في وعد المسيح، فإنه يوفر للمؤمنين الضمان الكامل للخلاص. وعدم الثقة بهذه الكلمة قد تجعل الله كاذباً، أو أنه ليس بالإمكان أن نعتمد على كلمته. هكذا إذاً فإن عدم الإيمان بنظر لوثر هو الخطيئة الكبرى تجاه الله.

١٠٤. وتُحدَّد العلاقة بين الله والتائب من خلال سر التوبة. والعلاقة المبنية على الوعد والثقة بالله هي أيضا تحدد العلاقة بين الله والإنسان من خلال إعلان كلمة الله. يريد الله أن يتعامل مع البشر بإعطائهم كلمات الوعد – والأسرار هي أيضاً كلمات وعد – والتي تظهر إرادة الله الخلاصية نحوهم. وعلى البشر من الجانب الآخر التعامل مع الله من خلال الثقة بوعوده فقط. ويعتمد الإيمان كلياً على وعود الله، وهو لا يستطيع أن يخلق الشيء الذي يضع البشر ثقتهم فيه.

١٠٥. ورغم ذلك، فإن الثقة بوعد الله ليست قراراً يتخذه الإنسان، ولكن الروح القدس هو الذي يكشف بأن هذا الوعد هو جدير بالثقة، فيخلق الإيمان في الإنسان. إن الوعد الإلهي والإيمان البشري بهذا الوعد مرتبطان احدهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً. ويجب التأكيد على كلا الوجهين: موضوعية الوعد وذاتية الإيمان. وبحسب لوثر فإن الله لا يكشف عن الحقائق الإلهية بوصفها فقط معلومات ينبغي للعقل أن يتوافق معها، إذ إنّ لوحي الله أيضاً أهدافاً خلاصية

موجهة إلى إيمان المؤمنين وخلاصهم. وتلك الوعود يعطيها الله "لك"، هي كلمات الله "لي أو "لنا".

١٠٦. مبادرة الله نفسه تؤسس علاقة خلاصية مع الإنسان، فيتحقق الخلاص بالنعمة. وهبة النعمة تُقبَل قبولاً فقط، وبما أن النعمة مرتبطة بالوعد الإلهي، فلا يمكن قبولها إلا بالإيمان وليس بالأعمال. ويتحقق الخلاص بالنعمة وحدها. ومع ذلك فقد أكدّ لوثر دائماً أن الشخص المبرّر يقوم بالأعمال الصالحة بالروح.

بالمسيح وحده

١٠٧. إن محبة الله للبشر متمحورة ومتأصلة ومتجسّدة في يسوع المسيح. ولهذا، عندما نقول "بالنعمة وحدها"هذا يعني "بالمسيح وحده". يصف لوثر علاقة الإنسان بالمسيح باستخدام تشبيه الزواج الروحي. روح الإنسان هي العروس، والمسيح هو العريس، والإيمان هو خاتم الزواج. وبحسب شرائع الزواج فإن ممتلكات العريس (البرّ) تصبح ممتلكات العروس، وممتلكات العروس (الخطيئة) تصبح ممتلكات العريس. هذا "التبادل البهيج" هو غفران الخطايا والخلاص.

١٠٨. ويظهر هذا التشبيه أن شيئاً خارجياً، وهو برّ المسيح، يصبح شيئاً داخلياً، إذ يصبح ملكية روح الإنسان، ولكن بالاتحاد مع المسيح من خلال الثقة بوعوده وليس بالانفصال عنه. ويصرّ لوثر أن بِرّنا "ليس منّا" لأنه برّ المسيح، ولكنه يصبح داخلياً ولنا بالإيمان بالمسيح. إننا نفهم حقيقة الخلاص بالشكل الصحيح فقط عندما نشدد على هذين الأمرين بالتساوي (أن البر خارجي ولكن ينبغي أن يصبح داخليّاً بالإيمان). ويصرّح لوثر "أنه بالإيمان تحديداً يكون المسيح حاضراً".[٣٧] المسيح "من أجلنا" و"فينا" و"نحن في المسيح".

[37] *WA* 40/II; 229, 15.

أهمية الناموس

١٠٩. وأدرك لوثر الواقع الإنساني، بالنسبة إلى الناموس بمعناه اللاهوتي والروحي، من منظور ما يطلبه الله منا. ويعبّر يسوع عن إرادة الله بقوله: "تحب الرب إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك" (متى ٢٢:٣٧). ويعني هذا أن وصايا الله تتحقق فقط بالتكريس الكلي لله. وهذا لا يشمل الإرادة فقط والأفعال الخارجية التي تعبّر عن هذه الإرادة، بل جميع جوانب الروح الإنسانية والقلب كالعواطف والشوق والسعي الإنساني المجاهد، أي تلك النواحي غير الخاضعة لسيطرة الإرادة أو الخاضعة بشكل مباشر أو جزئياً للإرادة من خلال الفضائل.

١١٠. وثمة قاعدة قديمة في النطاقين القانوني والأخلاقي، وهي واضحة بشكل بديهي، أنه لا يمكن أن يُجبَر أحدٌ على عمل ما ليس باستطاعته. ولهذا فإن كثيراً من اللاهوتيين في العصور الوسطى كانوا مقتنعين أن هذه الوصية بأن نحب الله ينبغي أن تكون محدودة بالنسبة إلى الإرادة. وبحسب هذا المفهوم، لا تتطلب وصية محبة الله أن يوجّه الإنسان جميع جوانب الروح إلى الله وأن يكرسها له، بل يكفي أن تحب الإرادةُ اللهَ (أو أن تريده) فوق كل شيء.

١١١. وبيّن لوثر في المقابل أن هناك فرقاً بين المفهوم القانوني والأخلاقي للناموس والمفهوم اللاهوتي لها. لم يكيّف الله الوصايا بحسب أوضاع الإنسان الساقط في الخطية. وبحسب المفهوم اللاهوتي، تُظهر وصية أن نحب الله وضعَ البشر وبؤسهم. فكما كتب لوثر في "المناظرات ضد اللاهوت المدرسي الرسمي" :"بالمعنى الروحي: لا تقتل ولا تفعل الشر ولا يمتلكك السخط الشديد – إن هذه الأمور تتحقق فقط عندما لا يغضب الإنسان ولا تسيطر عليه الشهوة".[٣٨] ومن هذا الجانب، لا يتحقق حقّ الشريعة الإلهية بأعمال ليست من الإنسان أو أية أعمال أخرى أو بالإرادة فحسب، إنما بالتزام الإنسان الكامل لإرادة الله.

[38] Luther, Disputation against Scholastic Theology (1517), tr. Harold J. Grimm, *LW* 31:13; *WA* 1, 227, 17–18.

الاشتراك في بر المسيح

١١٢. يشرح مبدأ لوثر – أن الله يطلب تكريساً من أعماق القلب لتتميم شريعته – لماذا أصرّ بشدة أننا نعتمد كلياً على برّ المسيح. إن المسيح هو الشخص الوحيد الذي تمّم إرادة الله، ويمكن لباقي البشر أن يصبحوا أبراراً بالمعنى اللاهوتي فقط من خلال الاشتراك في برّ المسيح. فبرّنا ليس منّا طالما أنه برّ المسيح، ولكن ينبغي أن يصير برّنا وأن يصير داخلياً من خلال الإيمان بوعد المسيح. وباشتراكنا في تكريس المسيح نفسه كليّاً لله نستطيع أن نصبح أبراراً بكلّ ما في الكلمة من معنى.

١١٣. وبما أن الوعد في الإنجيل هو: "هنا المسيح وروحه"، فإن الاشتراك في برّ المسيح لن يتحقق دون أن نكون تحت قوة الروح القدس الذي يجدّدنا. لذا فكوننا متبررين ومتجدّدين هما أمران مترابطان ارتباطاً جوهرياً. ولم ينتقد لوثر زملائه اللّاهوتيين مثل جابرييل بيل (Gabriel Biel) لتشديدهم على قوة النعمة التي تغيّر الإنسان، بل على العكس، فقد اعترض عليهم لأنهم لم يشدّدوا عليها بشكل كافٍ على أنها ضرورة أساسية لأي تغيير حقيقيّ في حياة المؤمن.

الناموس والإنجيل

١١٤. لن يتحقق هذا التجديد بصورة كاملة، من وجهة نظر لوثر، ونحن على قيد الحياة. ولهذا فإن نموذجاً آخراً لشرح خلاص الإنسان، مقتبساً من الرسول بولس، أضحى مهماً للوثر. ففي الرسالة إلى رومية ٣:٤، يشير بولس إلى إبراهيم في تكوين ٦:١٥: "آمن إبراهيم بالله فحُسب له براً"، ثم يستنتج: "أمّا الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً" (رومية ٥:٤).

١١٥. ويقدّم هذا النصّ صورة لشخص ما في قاعة المحكمة تمّ إعلان براءته. فإذا أعلن الله أن أحدًا "مُبَرَّرٌ"، فإن هذا الإعلان يغيّر وضعه ويخلق واقعاً جديداً. فلا يبقى حكم الله خارج الإنسان. وقد استخدم لوثر كثيرا نموذج بولس الرسول هذا ليؤكد أن الله يقبل الإنسان بجملته

ويخلّصه، حتى وإن لم تكتمل هذه العملية تماماً في هذه الحياة الأرضية، أي عملية تجديد الإنسان المُبَرّر، ليصبح مكرساً لله بصورة كاملة.

١١٦. نحن ،كمؤمنين نجتاز عملية التجديد بالروح القدس، إننا لا نستطيع أن نتمّم الوصية الإلهية بصورة كاملة ولا أن نُنفّذ ما يطلبه الله منا. ولهذا سيتّهمنا الناموس وسيحسبنا خاطئين. فبالنسبة إلى الناموس، من الناحية اللاهوتية، نحن نؤمن أننا ما زلنا خطاة. ولكن بالنسبة إلى الإنجيل الذي يَعِدُنا "هنا برّ المسيح"، فنحن أبرارٌ ومُبرّرون ما دمنا نؤمن بوعد الإنجيل. وهذا هو فهم لوثر للمؤمن المسيحي: "هو مُبَرّرٌ وخاطئ في الوقت نفسه".

١١٧. وليس هذا تناقضاً، إذ علينا أن نفرّق بين علاقتين للمؤمن بكلمة الله: العلاقة بكلمة الله بوصفها شريعة الله التي تدين الخاطئ، والعلاقة بكلمة الله بوصفها إنجيل الله بقدر ما يفدينا المسيح. بالنسبة إلى العلاقة الأولى نحن خطاة، أما بالنسبة إلى العلاقة الثانية فنحن أبرار ومبرّرون. وهذه العلاقة هي الغالبة. هذا يعني أن المسيح يدخلنا في عملية تجديد مستمرة حين نثق بوعده أننا مُخلّصون إلى الأبد.

١١٨. وهذا هو السبب الذي جعل لوثر يشدد وبقوة على حرية المسيحي، وهي الحرية كون الله قبلنا بالنعمة وحدها وبالإيمان وحده بوعد المسيح، وأننا أحرار من دينونة الناموس بواسطة غفران الخطايا، وأحرار لخدمة القريب الذي نخدمه بعفوية دون أن نطلب أيّ استحقاقات مقابل ذلك. والإنسان المبرّر مُلزمٌ بطبيعة الحال بتتميم وصايا الله، لأن الروح القدس يحملنا على ذلك. وكما أوضح لوثر في كتاب الكاتخيسموس الصغير: "علينا أن نخاف الله ونحبّه، من أجل أن...." وشرح بعد ذلك الوصايا العشر.[٣٩]

الموقف الكاثوليكي المتعلق بعقيدة التبرير

١١٩. كان ثمة تقارب مهم بين المواقف اللوثرية والكاثوليكية حتى في القرن السادس عشر بالنسبة إلى الحاجة إلى رحمة الله وعدم القدرة الإنسانية على الحصول على الخلاص من خلال

[39] Luther, The Small Catechism, in *BC*, 351–54.

الجهد الشخصي. وعلّم مجمع ترنتو بوضوح أن الخاطئ لا يتبرّر بالناموس ولا بالجهد الإنساني، وحرّم كل شخص يقول إنّ "الإنسان يمكن أن يتبرّر أمام الله بأعماله التي يعملها بقوته الذاتية، أو من خلال تعاليم الناموس، وبمعزلٍ عن النعمة الإلهية بوساطة يسوع المسيح".[٤٠]

١٢٠. ومع ذلك، وجد الكاثوليك إشكالية في بعض مواقف لوثر، إذ بدا لهم أن طريقة طرح لوثر للأمور فيها إنكار مسؤولية الفرد الشخصية عن أعماله. ويفسّر هذا تشديد مجمع ترنتو على مسؤولية الإنسان ومقدرته على التعاون مع نعمة الله. وشدد الكاثوليك على أن الإنسان المبرر يجب أن يكون ملتزماً ومسؤولاً لينمو في النعمة في حياته. ولهذا فالإنسان المبرّر يساهم بجهوده البشرية في نموّ أكبر في النعمة والشركة مع الله.

١٢١. وعلاوة على ذلك، فإن "صورة المحكمة" أو "احتساب البرّ" التي استخدمها لوثر، بحسب القراءة الكاثوليكية، تبدو وكأنها تنكر قدرة نعمة الله الخالقة والتي تتغلّب على الخطيئة وتبدّل أو تغيّر الإنسان المبرّر. وكانت رغبة الكاثوليك التأكيد لا على غفران الخطايا فحسب، بل أيضا على تقديس الخاطئ. ففي التقديس يأخذ المسيحي "برّ الله" الذي يجعلنا به أبراراً.

الحوار اللوثري الكاثوليكي حول التبرير

١٢٢. واعتبر لوثر ومصلحون آخرون عقيدة تبرير الخطاة على أنها "البند الأول والرئيس"[٤١] و"المرشد والحَكَم فوق جميع أجزاء العقيدة المسيحية".[٤٢] ولهذا كان الاختلاف على هذه النقطة حاسماً جداً وأضحى العمل للتغلب على هذا الانقسام أولوية قصوى في العلاقات الكاثوليكية اللوثرية. وفي النصف الثاني من القرن العشرين كان هذا الخلاف موضوع دراسة مستفيضة قام بها لاهوتيون بشكل فرديّ وعدد من الحوارات المحلية والإقليمية والعالمية.

١٢٣. ولُخصت نتائج هذه الدراسات والحوارات في البيان المشترك لعقيدة التبرير والذي لقي ترحيباً رسمياً في العام ١٩٩٩ من قبل الكنيسة الكاثوليكية في روما والاتحاد اللوثري العالمي.

[40] Council of Trent, Sixth Session, 13 January 1547, can. 1.
[41] Luther, Smalcald Articles, in *BC*, 301.
[42] *WA* 39/I; 205, 2–3.

والتقرير التالي (وهو مبنيٌّ بشكل رئيسي على البيان المشترك) يقدم بيانات مشتركة، إضافة إلى مواقف خاصة لكلّ جانب من طرفي الحوار ولكن مع التأكيد أنها لا تلغي المشترك بين المفهومين الكاثوليكي واللوثري. إنّه إذاً إجماع لا يتغاضى عن الاختلافات، بل يشملها بشكل صريح.

بالنعمة وحدها

١٢٤. يعترف الكاثوليك واللوثريون معاً: "بالنعمة وحدها، بالإيمان بعمل المسيح الخلاصيّ، وليس بسبب أي استحقاق فينا، قَبِلنا اللهُ وأعطانا الروح القدس الذي يجدّد قلوبنا فيما يقوينا ويدعونا إلى الأعمال الصالحة" (*JDDJ* 15). و شُرحت العبارة "بالنعمة وحدها" على نحو أوسع كالآتي: "إن رسالة التبرير...تعلّمنا أننا بوصفنا خطاة فإن حياتنا الجديدة مَدينة فقط للرحمة التي تغفر وتجدّد والتي يمنحنا إياها الله كعطية نتلقاها بالإيمان، ولا يمكن أن نستحقها بأي وسيلة" (*JDDJ* 17).[٤٣]

١٢٥. ويمكن في هذا الإطار تحديد حدود وكرامة حرية الإنسان. وتُفسّر العبارة "بالنعمة وحدها" بهذه الطريقة فيما يتعلق بحركة الإنسان نحو الخلاص: "نعترف معاً أن جميع الناس يعتمدون بصورة كاملة على نعمة الله الخلاصية لخلاصهم، وأن الحرية التي يمتلكونها في علاقتهم بالأشخاص والأشياء في هذا العالم هي ليست حرية متعلقة بالخلاص" (*JDDJ* 19).

١٢٦. وعندما يصرّ اللوثريون على أن المرء يمكنه فقط أن "ينال" التبرير فإنهم يقصدون "استثناء أية إمكانية يساهم فيها الإنسان في تبرير ذاته، إلا أنهم لا ينكرون أن المؤمنين ملتزمون التزاماً كاملاً وشخصياً في إيمانهم الذي يتمّ بقوة كلمة الله" (*JDDJ* 21).

١٢٧. وعندما يتكلم الكاثوليك على الاستعداد للنعمة، مستخدمين مصطلح "التعاون"، فإنهم يعنون بذلك "قبولاً شخصياً" من قبل الإنسان نفسه، وهذا القبول هو "نتيجة النعمة وليس بعملٍ نابعٍ من قدرات بشرية داخلية" (*JDDJ* 20). لذا فإنهم لا ينكرون التعبير الشائع

[43] *JDDJ*, op. cit. (note 4).

أن الخطاة "عاجزون عن العودة بأنفسهم إلى الله من أجل النجاة، وعن استحقاق التبرير أمام الله، والحصول على الخلاص بقدراتهم الذاتية. إن التبرير يتم بنعمة الله حصراً" (*JDDJ* 19).

١٢٨. وبما أن الإيمان لا يُفهم فقط كمعرفة تؤكد (معلومات)، ولكن أيضا كثقة القلب بناء على كلمة الله، فإننا نستطيع أن نضيف معاً أيضاً: "يحصل التبرير بالنعمة وحدها، وبالإيمان وحده، ويتبرر الإنسان بدون الأعمال" (رومية ٣:٢٨)" (*JDDJ* 15, 16, 25, Annex 2C).[٤٤]

١٢٩. ما كان قبلاً منقسماً مُمزقاً وكان يُعزى إلى مذهب أو آخر ولكن ليس لكليهما، أصبح الآن يُفهم في إطار انسجام عضوي. "عندما يأتي أشخاص بالإيمان ليتّحدوا مع المسيح في الشركة، لا يعود الله يحتسب خطاياهم، ويجعل فيهم بالروح القدس محبة فعّالة. وهذان الجانبان لنعمة الله العاملة لا يمكن فصلهما" (*JDDJ* 20).

الإيمان والأعمال الصالحة

١٣٠. من المهم أن يكون لدى اللوثريين والكاثوليك رؤية مشتركة حول تناغم الإيمان والأعمال: "يضع المؤمنون ثقتهم في وعد الله المليء بالنعمة وذلك بالإيمان الذي يبرّر، وهذا يشمل أن يرجو المؤمن الله وأن يحبّه. وهذا الإيمان عاملٌ بالمحبة ولهذا لا يستطيع المسيحي أن يظلّ دون أعمال ويجب أن يبقى الوضع كذلك" (*JDDJ* 25). من أجل هذا، يعترف اللوثريون بقوة نعمة الله الخلاّقة التي "تؤثر في جميع أبعاد الإنسان وتؤدي إلى العيش في الرجاء والمحبة" (*JDDJ* 26). ويجب التمييز بين "التبرير بالإيمان وحده" من جهة "والتجديد" من جهة أخرى، ولكن دون الفصل بينهما.

١٣١. وفي الوقت نفسه، "أيّ أمرّ يسبق الإيمان أو يتبعه في الشخص المبرّر ليس الأساس في التبرير أو في الاستحقاق" (*JDDJ* 25). لهذا فإن التأثير الخلّاق الذي يربطه الكاثوليك بالتبرير بالنعمة ليس منفصلاً عن الله أو "ملكاً بشرياً قد يدعي الإنسان أنه فوق الله أو ضده".

[٤٤] مرجع سابق، ص ٤٥.

(*JDDJ* 27). بل تأخذ هذه النظرة في الحسبان أنه ضمن العلاقة الجديدة بالله يتغيّر الأبرار ويصبحون أبناء الله ويعيشون في شركة جديدة مع المسيح: "هذه العلاقة الشخصية بالله قائمة كلياً على نعمة الله وتظل تعتمد دائماً على العمل الخلاصي والخلاّق المبني على نعمة الله، الذي يبقى صادقاً ويُمكن الاعتماد عليه" (*JDDJ* 27).

١٣٢. وفيما يتعلّق بالأعمال الصالحة، يقرّ الكاثوليك واللوثريون معاً: "إننا نعترف أيضاً أن وصايا الله تبقى قائمة للشخص المبرر" (*JDDJ* 31). ويسوع نفسه، بالإضافة إلى الكتب المقدسة الرسولية، "يحثّ المسيحيين على القيام بأعمال المحبة" التي "تتبع التبرير وهي ثماره" (*JDDJ* 37). ولكي لا يُساء فهم الالتزام بالوصايا نقول: "عندما يشدد الكاثوليك على أن الأبرار مُلزمون بطاعة وصايا الله فإنهم لا ينكرون أنّ الله وعد أبناءه وبناته، بواسطة يسوع المسيح، برحمته وبنعمةِ الحياة الأبدية." (*JDDJ* 33).

١٣٣. وبإمكان كلّ من اللوثريين والكاثوليك الاعتراف بأهمية الأعمال الصالحة في إطار تعميق الشركة مع المسيح (*JDDJ* 38)، ولو شدّد اللوثريون على أن البرّ كاملٌ دائماً (بتعريفهم البرّ على أنه أن يقبل الله الإنسان والمشاركة في برّ المسيح). هكذا بالإمكان شرح مفهوم الاستحقاق المثير للجدل كالآتي: "عندما يؤكد الكاثوليك صفة الاستحقاق للأعمال الصالحة، فإنهم يريدون أن يقولوا، بحسب شهادة الكتاب المقدس، إنّ الله وعدَ بالمكافأة والثواب في السماء لهذه الأعمال. ويقصدون بذلك التشديد على مسؤولية الأشخاص عن أعمالهم، وليس لرفض صفة العطية لهذه الأعمال، أو لإنكار أن التبرير يظلّ دائماً عطية نعمة غير مستحقة" (*JDDJ* 38).

١٣٤. ورداً على السؤال الذي نوقش كثيراً حول تعاون الإنسان، ثمة اقتباس من الإقرار اللوثري أضيف على نحوٍ مميزٍ كملحق للبيان المشترك بالنسبة إلى عقيدة التبرير بوصفه موقفاً مشتركاً: "إن العمل الذي تقوم به نعمة الله لا يستثني العمل الإنساني: فإن الله يؤثر في جميع الأشياء، الإرادة والإنجاز، ولهذا فنحن مدعوون لتتميم خلاصنا (فيلبي٢: ١٢). وحالما يبادر الروح القدس إلى الإحياء والتجديد من خلال الكلمة والأسرار المقدسة فمن المؤكد أننا نقدر بل يجب أن نتعاون بقوة الروح القدس...".[٤٥]

[45] *JDDJ*, Annex 2C, quoting The Formula of Concord, Solid Declaration, II. 64f., in *BC*, 556.

خاطئ ومبرّر في آن واحد

١٣٥. خلال مناقشة الاختلاف في الرأي الذي يقول إن المسيحي "خاطئ ومبرّر في آن واحد"، تبيّن عدم وجود فهم مشترك لمفاهيم "الخطيئة" و"الشهوة" و"البرّ". ومن الضروري أن نركز ليس فقط على الصياغة بل على المحتوى كي نصل إلى الإجماع. يقول الكاثوليك واللوثريون مع رومية ٦:١٢ و٢ كورنثوس ٥:١٧ أن الخطيئة ينبغي ألا تسود على المسيحيين. ويصرّحون أيضا مع ١ يوحنا ١:٨-١٠ أن المسيحيين ليسوا بلا خطيئة. ويتكلمون على "التمرّد على الله بالرغبات الأنانية في آدم القديم" حتى في المبررين، مما يجعل مقاومتها ضرورية مدى الحياة (*JDDJ* 28).

١٣٦. ولا تتفق هذه الميول مع "خطة الله الأساسية للبشرية"، وهي "متناقضة مع الله موضوعياً" (*JDDJ* 30)، كما يقول الكاثوليك. ولأن للخطيئة بحسب الرأي الكاثوليكي صفة العمل فالكاثوليك لا يتكلمون هنا عن خطيئة. على حين يرى اللوثريون في هذه الميول المناقضة لله رفضاً لإعطاء الإنسان نفسه لله كليّة، ولذلك يسمّون ذلك خطيئة. إلا أن الطرفين يشددان على أن الميول المناقضة لله لا تفصل المبررين عن الله.

١٣٧. وخلص الكاردينال كايتانُس، بناء على افتراضاته اللاهوتية المسبقة، وبعد دراسة كتابات لوثر، خلص إلى أن فهم لوثر للضمان الذي يعطيه الإيمان معناه إقامة كنيسة جديدة. وأوضح الحوار الكاثوليكي اللوثري المنظومات الفكرية المختلفة لكايتانس ولوثر والتي أدت إلى سوء الفهم المتبادل بينهما. أمّا اليوم فيمكن القول: "يشارك الكاثوليك اهتمام المصلحين أن الإيمان مبنيٌّ بشكل موضوعيّ وحقيقيّ على وعد المسيح، فننظر بعيداً عن خبرتنا الخاصة ونثق بكلمة المسيح الغافرة وحدها (أنظر متى ١٦:١٩، ١٨:١٨)" (*JDDJ* 36).

١٣٨. أدان كل من اللوثريين والكاثوليك في الماضي تعاليم المذهب الآخر. لهذا هناك إجماع في البيان المشترك لعقيدة التبرير بالإيمان على أمرين. من ناحية، صرّح البيان أن الرفض المتبادل لتعليم الكاثوليك واللوثريين كما صُوّر لا ينطبق على المذهب الآخر. ومن ناحية أخرى أكد البيان على نحو ايجابي إجماعاً على الحقائق الأساسية لعقيدة التبرير: "إن فهم عقيدة التبرير كما ورد في هذا البيان يظهر وجود إجماع لدى اللوثريين والكاثوليك حول الحقائق الأساسية لعقيدة التبرير" (*JDDJ* 40).

١٣٩. "وفي ضوء هذا الإجماع فإن الاختلافات المتبقية حول اللغة والاجتهاد اللاهوتي والتشديد في فهم التبرير هي اختلافات مقبولة. لهذا فإن الشروحات اللوثرية والكاثوليكية للتبرير مع اختلافاتها منفتحة بعضها على بعض ولا تنقض الإجماع حول الحقائق الأساسية" (*JDDJ* 40). "وبالتالي فإدانات القرن السادس عشر، في ما يتعلق بعقيدة التبرير، تتضح الآن في ضوء جديد: إن تعليم الكنائس اللوثرية الممثّل في هذا البيان المشترك لا يقع ضمن إدانات مجلس ترنتو. كما ولا تنطبق الإدانات اللوثرية على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية الممثلة في هذا البيان" (*JDDJ* 41). هذا ردٌّ رائعٌ جداً على الصراعات حول هذه العقيدة والتي دامت قرابة الخمسة قرون.

الإفخارستيا

كيف فهم لوثر العشاء الرباني

١٤٠. إن عشاء الرب بالنسبة إلى اللوثريين والكاثوليك هو عطيّة ثمينة يجد فيها المسيحيون غذاء روحياً وتعزية لنفوسهم، وفيه تجتمع الكنيسة بشكل متجدد وعليه تقوم. ولهذا فإن الجدل حول هذا السرّ مؤلم جداً.

١٤١. فهم لوثر سر العشاء الرباني على أنه عهدٌ (*testamentum*): وعدٌ من شخص يوشك على الموت، كما يتضح في الترجمة اللاتينية للكلمات التي تُقال عند إقامة هذه السرّ. ورأى لوثر في البداية في وعد المسيح (العهد) نعمة واعدة ومغفرة للخطايا، إلا أنه أكدّ في مناظرة مع زوينجلي اعتقاده أن المسيح يعطي نفسه أي جسده ودمه الحاضرين حقاً. والإيمان لا يجعل المسيح حاضراً، ولكن المسيح هو من يهب نفسه، جسده ودمه، إلى متناولي الشركة، سواء آمنوا بهذا الأمر أم لم يؤمنوا. ولهذا فإن معارضة لوثر للعقيدة المعاصرة له لم تكن أنه أنكر الحضور الحقيقي ليسوع المسيح، بل كان همّه كيف يفهم "الاستحالة" في عشاء الرب.

حضور المسيح الحقيقي

١٤٢. استخدم مجمع اللاطران الرابع (Fourth Lateran Council) عام ١٢١٥ الفعل اللاتيني (*transubstantiare*) ونترجمه اليوم بلفظة "الاستحالة"، التي تتضمن التفريق بين الجوهر والعَرَض.[٤٦] وبالرغم من أن هذا كان شرحاً مقبولاً للوثر لما يحدث في العشاء الرباني، فإنه لم يتمكن من أن يرى كيف يمكن أن يكون هذا الشرح الفلسفي مُلزماً لجميع المسيحيين. على أية حال شدّد لوثر بقوة على الحضور الحقيقي للمسيح في هذا السّر.

١٤٣. وآمن لوثر بحضور جسد المسيح ودمه في ومع وتحت عنصري الخبز والخمر. وثمة تبادل في الخصائص بين جسد المسيح ودمه وبين الخبز والخمر. يخلق هذا اتحادا سريّاً بين الخبز وجسد المسيح والخمر ودم المسيح. وهذا النمط الجديد من الاتحاد من خلال الاشتراك في الخصائص مشابه لاتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح. وشبّه لوثر أيضاً هذا الاتحاد السرّي باتحاد الحديد والنار في الحديد الملتهب.

١٤٤. وانتَقَدَ لوثر بسبب فهمه لكلمات العشاء الرباني "اشربوا منها كلكم" (متى ٢٦:٢٧) منع جماعة المؤمنين من أخذ الشركة تحت العنصرين، الخبز والخمر. ولم يجادل أن العلمانيين سيتناولون عندئذ نصف المسيح فقط، بل أكد أنهم سيأخذون جميع المسيح أو كامله بأيّ من العنصرين. إلا انه أنكر أن للكنيسة الحقّ في منع جماعة المؤمنين تناول عنصر الخمر أيضاً، لأن كلمات العشاء الرباني واضحة وجلية في هذا الأمر. ويُذكّر الكاثوليكُ اللوثريين أنّ أسباباً رعوية كانت الدافع الأساسي وراء ممارسة الشركة المقدسة بعنصر واحد.

١٤٥. وفهم لوثر العشاء الرباني أيضاً على انه حدثٌ جماعي، وغذاء حقيقي، حيث يجب تناول العنصرين المباركين بشكل كامل فلا تحفظ بعد الاحتفال بخدمة العشاء الربانيّ. وحثّ على تناولها كاملة حتى لا يطرح على بساط البحث إطلاقاً السؤال حول مدّة حضور المسيح.[٤٧]

---

[46] The Fourth Lateran General Council, Symbol of Lateran (1215), DH 802.

[٤٧] كان لوثر قد أصدر تعليماته للقس اللوثري سيمون فولفرينوس (Simon Wolferinus) بألا يخلط ما زاد من العشاء الرباني بعد التكريس مع عناصر لم تستخدم بعد. وقال له: "اعمل كما نعمل هنا (أي في فيتنبرغ)، أي أن تشرب وتأكل ما زاد من السرّ، كي لا تضطر إلى التعامل مع السؤال المحرج والخطير حول متى ينتهي السرّ". (*WAB* 10, 348f.)

الذبيحة الإفخارستية

١٤٦. كان اعتراض لوثر الرئيسي على العقيدة الكاثوليكية بشأن الإفخارستيا موجهاً ضد فهم القداس كذبيحة. يعلمنا لاهوت الإفخارستيا بأنها تذكار حقيقي، لذبيحة المسيح الفريدة والمقدمة مرة واحدة وإلى الأبد (العبرانيين ٩:١-١٠:١٨)، وفيها يجعل المسيح نفسه حاضراً لمشاركة المؤمنين. هذا اللاهوت لم يكن مفهوماً فهماً كاملًا في أواخر العصور الوسطى. ولهذا فهم كثيرون الاحتفال بالقداس كأنه ذبيحة أخرى بالإضافة إلى ذبيحة المسيح الواحدة. وبحسب نظرية قال بها دانز سكوتس (Duns Scotus) فإن تعدد القداديس كان يُفهم على أنه تكثير للنعمة، وأن هذه النعمة يمكن تطبيقها على الأفراد. ولهذا السبب، على سبيل المثال، كان يحُتفل في عصر لوثر بآلاف القداديس الخاصة كل سنة في كنيسة القلعة في فيتنبرج.

١٤٧. أصرّ لوثر على أنه، وبحسب كلمات العشاء الأخير فإن المسيح يعطي نفسه في الشركة المقدسة إلى الذين يقبلونه، وأنه بما أن الأمر يتعلّق بعطيّة أو هبة، فإن المسيح يُقبل بالإيمان، ولا يُقدَّم كذبيحة. وإذا كان المسيح يُقدَّم لله في السرّ، فإننا نقلب أو نعكس مفهوم طبيعة الإفخارستيا بالكامل. إن فهم الإفخارستيا كذبيحة بالنسبة إلى لوثر يعني أننا نجعلها بمثابة عمل صالح نقوم به ونقدمه لله. وقال إنه مثلما لا يجوز قبول المعمودية المقدسة بدلاً عن شخص آخر، فإننا لا نستطيع أن نشترك في الإفخارستيا نيابة عن شخص آخر أو لصالحه. وبدلاً من أن نقبل أثمن عطية أي المسيح نفسه عندما يقدم لنا ذاته، فإننا نحوّله إلى تقدمة نقدّمها نحن لله فنحوّل بذلك العطيّة الإلهية إلى عمل صالح.

١٤٨. ومع ذلك استطاع لوثر رؤية عنصر الذبيحة في القدّاس، عندما يكون قداساً للشكر والتسبيح. فهو ذبيحة لأن الشخص الذي يشكر يدرك أنه بحاجة إلى هبة ما، وأن وضعه سيُبدَّل فقط بقبول الهبة. ولهذا فإن قبول الهبة بالإيمان فيه بُعد فعّال يجب عدم التقليل من معناه.

الفكر الكاثوليكي في الإفخارستيا

١٤٩. وبالنسبة إلى الجانب الكاثوليكي، فإن رفض لوثر لمفهوم "الاستحالة" أثار شكوكاً حول ما إذا كان لوثر يؤكد الحضور الحقيقي للمسيح في لاهوته على نحو كامل. وبالرغم من أن مجمع ترنتو اعترف أننا نستطيع بصعوبة بالغة التعبير بالكلمات عن طريقة حضوره، وبالرغم من أنه ميّز بين عقيدة تحوّل الأشكال وبين شرحها التقني، فقد صرّح "أن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة قد سمّت هذا التحول بلفظة "استحالة"، وهذه اللفظة مناسبة ودقيقة".[٤٨] واعتقد الكاثوليك أن هذا المفهوم أفضل ضمان لتأكيد الحضور الحقيقي ليسوع المسيح تحت عنصري الخبز والخمر، وللتأكيد على أن يسوع المسيح حاضر على نحو كامل في كلا العنصرين. وعندما يصرّ الكاثوليك على تحول العناصر المخلوقة نفسها فإنهم يريدون تسليط الضوء على قوة خلق الله التي توجد خليقة جديدة في الخليقة القديمة.

١٥٠. دافع مجمع ترنتو عن ممارسة السجود للقربان الأقدس، ولكنه أكد أيضاً أن الهدف الرئيسي من الإفخارستيا هو في الأساس تناول المؤمنين. فقد وضع يسوع المسيح سر الإفخارستيا ليتناوله المؤمنون بمثابة غذاء روحي.[٤٩]

١٥١. واجه الكاثوليك صعوبة بسبب الافتقار إلى مصطلحات مناسبة للتعبير عن مفهوم الذبيحة في الإفخارستيا، وذلك نتيجة لعدم وجود تعريف متكامل لمفهوم إحياء الذكرى. التزم الكاثوليك بتقليد يعود إلى آباء الكنيسة، لذلك لم يتنازلوا عن تعريف الإفخارستيا كذبيحة حقيقية، حتى لو وجدوا صعوبة في تحديد مفهوم هذه الذبيحة مقابل ذبيحة المسيح الواحدة الفريدة. وكانت هناك حاجة إلى تحديد في لاهوت الأسرار والليتورجيا كما حدث في المجمع الفاتيكاني الثاني من أجل تحديد مفهوم إحياء الذكرى (*SC* 47; *LG* 3).

١٥٢. استطاع اللوثريون والكاثوليك أن يستفيدوا في حوارهم المسكوني من تبصرات الحركة الليتورجية ومن تبصرات لاهوتية جديدة. وتوصل كلا الطرفين من خلال استرداد مفهوم إحياء الذكرى إلى فهم أفضل لسرّ الإفخارستيا كإحياء للذكرى وكيف يجعل أحداث الخلاص حاضرة ولا سيما في ذبيحة المسيح. واستطاع الكاثوليك أن يثمّنوا الأشكال المتعددة لحضور

[48] Council of Trent, Thirteenth Session, 11 October 1551, Chapter IV.

[٤٩] مرجع سابق، الفصل الثاني.

المسيح ضمن ليتورجية الإفخارستيا ،كحضوره في كلمته وفي الجماعة (*SC* 7). وعلى ضوء سرّ الإفخارستيا ولكونه يفوق كل وصف، تعلّم الكاثوليك أن يعيدوا تقييم تعابير الإيمان المتعددة بحضور يسوع المسيح الحقيقي في السرّ. واكتسب اللوثريون وعياً جديداً للأسباب التي تدعو إلى التعامل باحترام مع العنصرين المباركين بعد الاحتفال بخدمة العشاء الربانيّ.

الحوار اللوثري الكاثوليكي حول الإفخارستيا

١٥٣. لا يوجد جدلٌ بين الكاثوليك واللوثريين حول حقيقة حضور السيد المسيح في العشاء الرباني. فأصبح في إمكان الحوار اللوثري الكاثوليكي حول الإفخارستيا أن يصّرح: "يؤكد التقليدُ اللوثري مثل التقليدِ الكاثوليكي على أن العنصرين المكرسين لا يظلان خبزاً وخمراً بل يُعطيا بقوة الكلمة الخلاقة على أنهما جسد المسيح ودمُه. وبهذا المعنى استطاع اللوثريون أيضا أن يتكلموا أحياناً كما في التقليد اليوناني (الأرثوذكسي) عن حدوث تغيير" (*Eucharist* 51).[٥٠] وكلا الطرفين الكاثوليكي واللوثري "يشتركون في رفض فكرة حضور مكاني أو طبيعي، وفي رفضهم لفهم السرّ على أنه مجرّد ذكرى أو مجاز" (*Eucharist* 16).[٥١]

الفهم المشترك للحضور الحقيقي للمسيح

١٥٤. يستطيع اللوثريون والكاثوليك أن يؤكدوا معاً حضور يسوع المسيح الحقيقي في العشاء الرباني: "يسوع المسيح، إله حقّ وإنسان حقّ، حاضر بالتمام والكمال في سرّ العشاء الرباني، بجسده ودمه، تحت عنصري الخبز والخمر" (*Eucharist* 16). ويؤكد هذا البيان المشترك جميع عناصر الإيمان الرئيسية المختصة بحضور يسوع المسيح في سرّ العشاء الرباني دون تبنّي مصطلح "الاستحالة". ولهذا فإن الكاثوليك واللوثريين يفهمون أن "الرّب الممجّد حاضرٌ أو موجودٌ في

[50] Cf. Apology of the Augsburg Confession X, in BC 184–85.
[51] Growth in Agreement I, 190–214.

العشاء الرباني في الجسد والدم اللذين قدّمهما، بألوهيته وإنسانيته من خلال كلمة الوعد في عطيّتي الخبز والخمر بقوة الروح القدس كيما تقبلها جماعة الكنيسة".[٥٢]

١٥٥. ويرتبط السؤال حول الحضور الحقيقي ليسوع المسيح ومفهومه اللاهوتي بمسألة مُدّة هذا الحضور وبمسألة السجود للمسيح الحاضر في السرّ بعد الاحتفال أيضاً. "تظهر الاختلافات المرتبطة بمدّة الحضور الإفخارستيّ في الممارسة الليتورجية أيضاً. فيعترف المسيحيون الكاثوليك واللوثريون معاً أن الحضور الإفخارستيّ لربنا يسوع المسيح متاحٌ لكي يقبله الإنسان بالإيمان، ولكنه لا يقتصر على لحظة القبول أو التناول فقط، وهو غير متوقف على إيمان من يقبله، رغم قوة العلاقة بين الاثنين" (*Eucharist* 52).

١٥٦. وطلبت وثيقة "الإفخارستيا" (*Eucharist*) أن يتعامل اللوثريون باحترام مع العنصرين الإفخارستيّين الذيْن تبقيا بعد الاحتفال بالعشاء الرباني. وفي الوقت نفسه، حذرت الوثيقة الكاثوليكيين ليتنبهوا أن السجود للقربان الأقدس (الإفخارستيّا) "لا يناقض القناعة المشتركة حول طبيعة العشاء في الإفخارستيا" (*Eucharist* 55).[٥٣]

التقارب في مفهوم الذبيحة الإفخارستية

١٥٧. وأما بالنسبة إلى القضية التي حظيت بأشد اهتمام لدى المصلحين، وهي الذبيحة الإفخارستية، صرّح الحوار الكاثوليكي اللوثري بمبدأ أساسي: "يعترف المسيحيون الكاثوليك واللوثريون معاً، أن يسوع المسيح حاضرٌ في العشاء الرباني بصفته المصلوب الذي مات عن خطايانا وقام لتبريرنا، وبمثابة الذبيحة التي قُدمت مرة واحدة وإلى الأبد عن خطايا العالم. وهذه الذبيحة لا يمكن أن تبقى مستمرة، ولا تُكرّر، ولا تُستبدل، ولا تُكمَّل، بل تقدر وينبغي أن

[52] *Condemnations of the Reformation Era*, 115. Op. cit. (note 3).

[53] The English translation confuses this sentence; refer to the German original, in H. Meyer, H. J. Urban and L. Vischer (eds), *Dokumentewachsender Übereinstimmung: Sämtliche Berichte und Konsenstexte interkonfessioneller Gespräche auf Weltebene*1931–1982 (Paderborn: Bonifatius and Frankfurt: Lembeck, 1983), 287.

تظلّ فعالة متجدّدة دائماً في وسط جماعة الكنيسة. وهناك تفسيرات مختلفة بيننا حول طبيعة هذه الفعالية وامتدادها" (*Eucharist* 56).

١٥٨. وساعد مفهوم "إحياء الذكرى" (*anamnesis*) على حل السؤال الجدليّ: كيف يستطيع المرء أن يضع ذبيحة يسوع المسيح التي قدمت "مرة واحدة وللأبد" في علاقة صحيحة مع العشاء الرباني؟ "عندما نتذكّر أعمال الله الخلاصية في أثناء العبادة، فإن هذه الأعمال تصبح حاضرة بقوة الروح القدس، وترتبط الجماعات المحتفلة بالرجال والنساء الذين اختبروا أنفسهم هذه الأعمال الخلاصية نفسها. وهذا هو معنى وصية المسيح خلال عشاء الربّ: في إعلان موته الخلاصي، بنفس كلماته، وبإعادة نفس ما قام به في العشاء الرباني، تصبح الذكرى "وجودًا" فيه كلمة يسوع وعمله الخلاصيّ يصيران حاضرين".[٥٤]

١٥٩. إن الإنجاز الحاسم هو التغلب على العقبة التي كانت تقوم بالفصل بين ذبيحة يسوع المسيح (*sacrificium*) وبين السرّ (*sacramentum*). فإذا كان يسوع المسيح حاضراً حقاً في العشاء الرباني، فإن حياته وآلامه وموته وقيامته حاضرة حقاً مع جسده. لهذا فإن العشاء الرباني "هو أن نجعل من حدث الصليب أمراً حاضراً حقّاً".[٥٥] وإن حدث الصليب حاضرٌ في العشاء الرباني وليس فقط تأثيره، دون أن يكون العشاء إعادة لحدث الصليب أو تكملة له. والحدث الواحد حاضر في صورة السرّ. يجب أن يستبعد الشكل الليتورجي للعشاء المقدس كلّ ما يمكن أن يعطي الانطباع أن الأمر هو إعادة الذبيحة على الصليب أو تكملة لها. وإذا تمّ أخذ مفهوم العشاء الرباني كتذكار حقيقي بجدية، عندها يمكن تجاوز الاختلافات في فهم الذبيحة الإفخارستيّة من قبل الكاثوليك واللوثريين.

التناول تحت العنصرين ورتبة الخدمة الإفخارستيّة

١٦٠. منذ عصر الإصلاح، كان تناول الكأس من قبل جماعة المؤمنين العلمانيين ممارسة ميّزت خدمات العبادة اللوثرية. لقد ميّزت هذه الممارسة بشكل مرئي ولفترة طويلة ممارسة

[54] *Condemnations of the Reformation Era*, 3.II.1.2, 86. Op. cit. (note 3).
[55] Ibid., 3.II.1.4, 88.

العشاء الرباني عند اللوثريين عن الممارسة الكاثوليكية التي تقدم الخبز فقط لجماعة المؤمنين العلمانيين. واليوم يمكن صياغة هذا المبدأ كالتالي: "إنّ الكاثوليك واللوثريون متحدون في قناعتهم بأن الخبز والخمر هما المكوّن الكامل للإفخارستيا" (*Eucharist* 64). ومع ذلك تظل ثمة اختلافات في الممارسة في العشاء الرباني.

١٦١. وتحظى مسألة ترؤس الاحتفال بالإفخارستيا أهمية قصوى في السياق المسكوني، لذا فمن الضروري وجود خادم مرسوم كنسياً، وهذا أمرٌ مهمٌ ومفروغ منه أوضحه الحوار: "إنّ المسيحيين الكاثوليك واللوثريون مقتنعون أن الاحتفال بالإفخارستيا يتطلب أن يترأسه خادم مرسوم تعينه الكنيسة" (*Eucharist* 65). ومع ذلك يختلف اللوثريون والكاثوليك حول فهمهم لرتبة الخدمة الكنسية.

الخدمة الكنسية

فهم لوثر لكهنوت المعمّدين العام ولخدمة المرسومين

١٦٢. لم تستخدم كلمة "هييروس" (hiereus) أو كاهن (باللاتينية *sacerdos*) في العهد الجديد لوصف أية مهمة في الجماعة المسيحية، رغم أن بولس وصف خدمته الرسولية بأنها خدمة الكاهن (رومية ١٥: ١٦). إن المسيح هو رئيس الكهنة. ويفهم لوثر علاقة المؤمنين بالمسيح بوصفها "تبادلاً مفرحاً"، يشترك فيه المؤمن في صفات المسيح، وهذا يشمل الكهنوت أيضاً. فيقول لوثر: "والآن مثلما نال المسيح هذين الامتيازين بحقّ بكوريته، فإنه يمنحهما ويشركهما مع كل إنسان يؤمن به بحسب شريعة الزواج التي سبق ذكرها، والتي بناءً عليها تمتلك الزوجة كل ما يمتلكه زوجها. لهذا فإننا كلنا، نحن الذين نؤمن بالمسيح، كهنة وملوك في المسيح، كما يقول في ١ بطرس ٢:٩: "أمّا انتم فنسل مختار وكهنوت ملوكي وأمة مقدسة"."[٥٦] ويضيف لوثر: "كلّنا كهنة مكرسون بالمعمودية".[٥٧]

[56] Luther, Freedom of a Christian, tr. W. A. Lambert, rev. Harold J. Grimm, in *LW*31:354; *WA* 7; 56, 35–57,1.

١٦٣. وبالرغم من فهم لوثر أن جميع المسيحيين كهنة، فإنه لا يَعُدّهم خداماً مرسومين. "صحيح أن جميع المسيحيين كهنة، ولكن ليس الجميع رعاة مرسومين. ولا يكفي أن يكون الإنسان مسيحياً وكاهناً ليكون راعياً مرسوماً، بل ينبغي أن تكون له مهمة ومجال عمل يلتزم به. الدعوة والتفويض هما اللذان يصنعان الرعاة المرسومين والوعّاظ".[٥٨]

١٦٤. تعارضت فكرة لوثر اللاهوتية حول كهنوت جميع المؤمنين المسيحيين مع تقسيم المجتمع كما كان متعارفاً عليه في العصور الوسطى. فبحسب جراتسيانس (Gratian)، كان ثمة فئتان من المسيحيين: الإكليروس والعلمانيون.[٥٩] وقد أراد لوثر بعقيدة كهنوت جميع المؤمنين أن يلغي أساس هذا التقسيم. إن هوية المسيحي ككاهن تأتي من مشاركته في كهنوت المسيح. فهو يرفع هموم الناس في الصلاة أمام الله، ويقدم شؤون الله للناس بتوصيل الإنجيل إليهم.

١٦٥. وفهم لوثر أن مهمة الراعي المرسوم هي خدمة عامة لكل الكنيسة. فالرعاة هم خدام (*ministri*). وهذه المهمة لا تنافس الكهنوتَ العام لجميع المعتمدين، إنما تخدمهم وهكذا يكون جميع المسيحيين كهنة بعضهم لبعض.

الأساس الإلهي للخدمة (القسوسية)

١٦٦. تضمنت النقاشات اللاهوتية اللوثرية لأكثر من ١٥٠ سنة السؤال: هل تعتمد رتبة القسيس على التأسيس الإلهي أو التفويض البشري؟ فقد تحدث لوثر عن "رتبة القسيس التي أسّسها الله، إذ ينبغي أن يحكم القسيس الجماعة الكنسية بالوعظ والسّرين المقدسين".[٦٠] ويرى لوثر رتبة القسيس متأصلة في آلام المسيح وموته: "آمل حقاً أن يعرف المؤمنون الذي يريدون أن يُسموا مسيحيين أن الله قد أنشأ وثبّت هذه المنزلة الروحية ليس بذهب ولا بفضة بل بدم ثمين وموت مرّ عاناه ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح (١بطرس ١:١٨-١٩). ومن جراحه

[57] Luther, Christian Nobility, in *LW* 44:127; *WA* 6; 407, 22f.
[58] Luther, Psalm 82, tr. C.M. Jacobs, in *LW* 13:65; *WA* 31/1; 211, 17–20.
[59] Gratian, *Decr.* 2.12.1.7.
[60] Luther, To the Christian Nobility, tr. C. M. Jacobs, rev. J. Atkinson, in *LW* 44, *WA* 6;441, 24f.

تفيض حقاً الأسرار المقدسة...لقد دفع ثمناً غالياً كي يكون باستطاعة البشر في كل مكان الحصول على خدمة الوعظ والمعمودية والحلّ والربط وممارسة السّرين، وتقديم التعزية والتنبيه، والنصح بكلمة الله، وجميع ما يختص بهذه المهمة الرعوية... والمنزلة التي أفكر فيها هي بالحري مهمة الوعظ وخدمة الكلمة والأسرار والتي تمنح الروح والخلاص".[٦١] من الواضح إذاً أنه بحسب فكر لوثر فإن الله هو أقام رتبة "خادم" الكنيسة.

١٦٧. ولا يستطيع أحد على رأي لوثر أن ينال الرتبة بنفسه، بل ينبغي أن يكون مدعواً لذلك. وابتداء من العام ١٥٣٥ أجريت رسامات في فيتنبرج، وتم ذلك بعد فحص عقيدة المرشحين وسيرتهم وعما إذا كانت ثمة دعوة لخدمة جماعة مؤمنين. إلا أن الرسامة لم تتم ضمن الرعية المحلية الداعية إنما بصورة مركزية في فيتنبرج، لأن هدف الرسامة كان خدمة الكنيسة العامة.

١٦٨. أجريت الرسامات بالصلاة ووضع الأيدي. وتوضّح كل من صلاة الافتتاح – بأن يرسل الله فعلة للحصاد (متى٩: ٣٨) – والصلاة للروح القدس بأن الله هو الذي يعمل حقاً في خدمة الرسامة. ودعوة الله تشمل الشخص بكامله. ومع الثقة أن الله سيستجيب للصلاة ، يتم التكليف بكلمات بطرس الرسول في رسالته الأولى ٢:٥-٤.[٦٢] وتقول إحدى صيغ الرسامة : "الرتبة الكنسية عظيمة جداً لجميع الكنائس ومهمّة، والله وحده هو الذي يمنحها ويحافظ عليها".[٦٣]

١٦٩. وبما أنّ تعريف لوثر للسرّ المقدس كان محصوراً أكثر مما كان شائعاً خلال العصور الوسطى، ولأنه اعتقد أن سرّ الرتب المقدسة عند الكاثوليك يخدم في المقام الأول إقامة ذبيحة القداس، توقف عن اعتبار الرسامة سرّاً. أما ميلانختون (Melanchthon) فقال في "الدفاع عن إقرار أوغسبرغ": "إذا فُهمت الرسامة بالإشارة إلى خدمة الكلمة فليس لنا اعتراض على وصف الرسامة بالسّر، لأن خدمة الكلمة تحتوي على أمر الله، وتتضمن وعوداً عظيمة كما في رومية

[61] Luther, A Sermon on Keeping Children in School, tr. Charles M. Jacobs, rev. RobertC. Schulz, in *LW* 46:219–20; *WA* 30/2; 526, 34; 527, 14–21; 528, 18f., 25–27.
[62] See the Wittenberger Ordinationszeugnisse, in *WA Br*12, 447–85.
[63] *WA* 38 423, 21–25.

١٦:١: الإنجيل هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، ومثل ذلك قال أشعياء ١١:٥٥، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له". فإذا فُهمت الرسامة على هذا النحو فلا نمانع في تسمية وضع الأيدي سِرّاً، لأن للكنيسة تفويضاً بتعيين الخدام، مما ينبغي أن يُفرحنا جداً، لأننا نعلم أن الله يؤيد هذه الخدمة وهو حاضرٌ فيها."[٦٤]

رتبة الأسقف

١٧٠. رفض الأساقفة (الكاثوليك) رسامة مرشحين تعاطفوا مع الإصلاح، فقام المصلحون بالرسامة على يد "شيوخ" الكنيسة (القساوسة). ويشكو "إقرار أوغسبرغ" في البند ٢٨ من رفض الأساقفة رسامة المرشحين، مما أجبر المصلحين على الاختيار بين الحفاظ على الرسامة على يد الأساقفة وبين أن يكونوا مخلصين لما فهموه على أنه الحقّ في الإنجيل.

١٧١. كان يمكن للمصلحين أن يقوموا بالرسامات على يد "الشيوخ" لأنهم تعلموا من كتابات بيتر لومبارد (Peter Lombard's *Sentences*) أن قوانين الكنيسة تعترف فقط برتبتين لهما صفة السرّ بين الرتب الكبرى، وهما الشموسية والكهنوت، وأنه بحسب الفهم الشائع في العصور الوسطى فإن رسامة الأساقفة لم يكن فيها صفة سر خاص بها. [٦٥] وأشار المصلحون بشكل خاص إلى رسالة من إيرونيمُس الذي كان مقتنعاً أنه حسب العهد الجديد فإن رتب الكاهن والأسقف هي نفسها باستثناء واحد وهو أن الأسقف له الحق في أن يرسم الرعاة. وكما ذكر المصلحون فإن هذه الرسالة الموجهة إلى ايفانجيلُس (Evangelus) أُدخِلت في مرسوم جراتسيانس (*Decretum Gratiani*).[٦٦]

---

[64] Apology XIII, On the Number and Use of the Sacraments 7, in BC, 220.
[65] Peter Lombard, *Sent.* IV, dist. 24, cap. 12.
[66] Philip Melanchthon quoted Jerome's letter in his De potestate et primate papaetractatus, in *BC*, 340. See also *WA* 2; 230, 17–9; Jerome, Letter 146 to Evangelus, in J.-P. Migne (ed.), *Patrologia Latina* XXII (Paris, 1845), 1192–95; Decretum Gratiani, pars 1, dist. 93, in E. Friedberg (ed.), *Corpus Iuris Canonici*(Graz, 1955), 327–29.

١٧٢. وأكد لوثر والمصلحون أن ثمة رُتبة رسامة واحدة فقط، وهي رتبة التبشير العام بالإنجيل ومنح الأسرار المقدسة، والتي هي في طبيعتها أحداث عامة. وبالرغم من هذا فقد كان هناك منذ البداية تمييز في الرتبة. ومنذ الزيارات التفقدية الأولى تطورت رتبة المراقب، الذي كان له مهمة خاصة وهي الإشراف على رعاة الكنائس. وقد كتب فيليب ميلانختون سنة ١٥٣٥: "لأنه من الضروري ان يكون في الكنيسة قيادات، تقوم بفحص ورسامة المدعوين إلى الرتبة الكنسية، فإن قانون الكنيسة يحافظ ويشرف على تعاليم الكهنة. وإذا لم يوجد أساقفة فينبغي إيجادهم".[٦٧]

الرأي الكاثوليكي في الكهنوت العام والرسامة

١٧٣. لم تشدّد الكنيسة بما فيه الكفاية، في أواخر العصور الوسطى، على كرامة جميع المعمّدين ومسؤوليتهم في حياة الكنيسة ومن أجلها. وانتظرت الكنيسة حتى المجمع الفاتيكاني الثاني لتعرّف الكنيسة لاهوتياً على أنها شعب الله مؤكدة أنه "توجد مساواةٌ حقّة في الكرامة والعمل المشترك بين كلِّ المؤمنين لبنيانِ جسدِ المسيح". (*LG* 32).

١٧٤. وطوّر المجمع الفاتيكاني الثاني ضمن هذا الإطار فكرة كهنوت المعمّدين وعالج علاقته برتبة كهنوت المرسومين. ففي اللاهوت الكاثوليكي للكاهن المرسوم المقدرة بقوة السرّ للعمل باسم المسيح وباسم الكنيسة كلها أيضاً.

١٧٥. ويؤكد اللاهوت الكاثوليكي أن رتبة الأسقف تقدم مساهمة، لا يمكن الاستغناء عنها، لدعم وحدة الكنيسة. ويثير الكاثوليك السؤال حول كيفية المحافظة على وحدة الكنيسة في زمن الأزمات دون الاستناد إلى رتبة الأسقفية. وكانوا أيضاً متخوفين من عقيدة لوثر عن الكهنوت العام على أساس أنها لم تحافظ على نحو كافٍ على تراتبية السلطة في الكنيسة، وهم يعتبرونها من أساس إلهيّ.

[67] Melanchthon, Consilium de moderandis controversiis religionis, in C. G. Bretschneider (ed.), *Corpus Reformatorum*, vol. II (Halle: C. A. Schwetschke, 1895), 745f.; 1535).

الحوار اللوثري – الكاثوليكي حول الخدمة

١٧٦. كشف الحوار الكاثوليكي اللوثري عن كثير من التطابق، وكذا عن اختلافات في لاهوت رتب الخدام المرسومين وفي صورتها التأسيسية. ومن بين هذه الاختلافات رسامة المرأة الآن التي تمارسها كنائس لوثرية كثيرة. ومن الأسئلة المتبقية: هل تقدر الكنيسة الكاثوليكية أن تعترف بالرعاة المرسومين في الكنائس اللوثرية؟ وفي مقدور اللوثريين والكاثوليك معاً أن يتوصلوا إلى اتفاقٍ حول العلاقة بين مسؤولية التبشير بالكلمة ومنح الأسرار ورتبة أولئك المرسومين لهذا العمل. وبمقدورهم معاً وضع طريقة للتمييز بين المهام التالية: الأسقف والرتب الكنسية المحلية والإقليمية.

الفهم المشترك للرسامة

كهنوت المعمّدين

١٧٧. السؤال هنا هو: كيف نفهم خصوصية المهمات للمرسومين بالمقارنة مع الكهنوت العام لجميع المؤمنين المعمّدين؟ تصرح الدراسة "رسولية الكنيسة" (*Apostolicity of the Church*): "يتفق الكاثوليك واللوثريون على أن جميع المعمّدين المؤمنين بالمسيح يشتركون في كهنوت المسيح، ولهذا فهم مكلّفون "أن يخبروا بفضائل الذي دعا من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بطرس ٢:٩). ولهذا ليس أي عضو محروماً من دور يقوم به في رسالة جسد المسيح بأكمله" (*ApC* 273).

المصدر الإلهي للرسامة

١٧٨. وثمة قناعة مشتركة حول المصدر الإلهي لرتبة الخادم المرسوم: "يؤكد الكاثوليك واللوثريون أن الله هو مؤسس الخدمة بالرسامة، وأنها ضرورية لوجود الكنيسة، بما أن كلمة الله وإعلانها للملأ بالوعظ وإقامة الأسرار المقدسة هي أمور ضرورية لنشوء الإيمان بيسوع المسيح والحفاظ عليه، ولكي توجد الكنيسة وتبقى كمؤمنين يشكلون جسد المسيح في وحدة الإيمان" (*ApC* 273).

خدمة الكلمة والأسرار

١٧٩. تُعرّف الدراسة "رسولية الكنيسة" بأن المهمة الأساسية للخدام المرسومين لدى اللوثريين والكاثوليك هو إعلان الإنجيل: "إن للخدام المرسومون مهمة خاصة ضمن رسالة الكنيسة العامة" (*ApC* 274). فبالنسبة إلى اللّوثريين والكاثوليك فإن "المهمة الأساسية والقصد من الرسامة هما الخدمة العامة لكلمة الله أي إنجيل يسوع المسيح، وقد فوّض الله المثلث الأقانيم الكنيسة بالتبشير في العالم أجمع. وينبغي أن تُقيَّم كلّ رتبة وكلّ من لديه مسؤولية بموجب هذا التفويض"(*ApC* 274).

١٨٠. وهذا التركيز على مهمّة المرسومين أن يعلنوا الإنجيل مشتركٌ بين الكاثوليك واللوثريين. ويؤكد الكاثوليك أن أصل الخدمة الكهنوتية هو نشر الإنجيل. ويصرّح المرسوم الخاص بالكهنة (*Presbyterorum Ordinis*) "يصبح شعب الله واحداً في المقام الأول بواسطة كلمة الله الحيّة، والتي يجب أن تأتي من فمّ الكهنة. وبما أنه لا يمكن أن يخلص أحد إلا إذا آمن أولاً، فإن المهمة الأولى للكهنة بوصفهم عاملين مع الأساقفة هي التبشير بالإنجيل للملأ" (*PO* 4, cited in *ApC* 247). و"يصرّح الكاثوليك أيضاً أنها مهمة الكهنة المرسومين أن يجمعوا شعب الله من خلال كلمة الله وأن يبشروا بها الجميع حتى يؤمنوا" (*ApC* 274). وعلى النحو نفسه، يفهم اللوثريون أن "أساس ومعيار خدمة المرسومين هو تقديم الإنجيل لكل الجماعة المسيحية بطريقة مقنعة حتى يصبح إيقاظ الإيمان وتثبيته أمرًا ممكناً" (*ApC* 255).

١٨١. ويتفق اللوثريون والكاثوليك أيضاً على مسؤولية القادة المرسومين لمنح الأسرار المقدسة. ويقول اللوثريون: "يمنح الإنجيل من يترأسون على الكنائس التفويض بالتبشير بالإنجيل ومغفرة الخطايا ومنح الأسرار المقدسة" (*ApC* 27).[٦٨] ويصرّح الكاثوليك أيضاً أن الكهنة مفوّضون بمنح الأسرار التي يعتبرونها "مرتبطة بالإفخارستيا" وموجّهة نحوها لكونها "مصدر التبشير بالإنجيل وقمته" (*PO 5*, cited in *ApC* 274).

١٨٢. وتضيف الدراسة "رسولية الكنيسة": "من الجدير ذكره التشابه في وصف خدمة الكهنة والأساقفة. والنمط الثلاثي نفسه في هذه المهام الثلاثة – الوعظ والليتورجيا والقيادة – مستخدم للأساقفة والكهنة، وفي الحياة العملية للكنيسة على وجه التحديد. فإن القيادة توجه هذه الوظائف على نحو اعتيادي لأنه من خلالها تُبنى الكنيسة، على حين يشرف الأساقفة على التعليم ويعتنون بالتواصل بين الرعايا المحليّة. أما الكهنة فإنهم يمارسون خدمتهم بخضوعٍ للأساقفة وبشراكة معهم" (*ApC* 248).

طقسُ الرسامة

١٨٣. ثمة قواسم مشتركة تتعلّق بطقس الرسامة لهذا المنصب المميّز: "يتم التنصيب لهذه الرتبة بالرسامة وخلالها يتمّ دعوة إنسان مسيحيّ وتفويضه بالصلاة ووضع الأيدي لخدمة الوعظ العام بالإنجيل، بالكلمة والأسرار المقدسة، وتلك الصلاة هي التماس للروح القدس ومواهبه، وهي صلاة أكيدة بأنّها ستستجاب" (*ApC* 277).

الخدمة المحلّية والإقليمية

١٨٤. ويستطيع اللوثريون والكاثوليك القول معاً إن التمييز في المهام "بين كون المهمة محلية أو إقليمية ينبع من الحاجة لأن تكون الخدمة خدمة موحِّدة للإيمان" (*ApC* 279). وتعتبر

[68] Citing Melanchthon, Treatise on the Power and Primacy of the Pope, *BC*, 340: *BSLK*,489, 30–35.

الكنائس اللوثرية ممارسة الأسقفية (*episkopé*) بعدة طرق. فثمة عدة أسماء أو ألقاب تُطلق على من يقومون بمهمة الأسقفية أو الإشراف، تختلف عن لقب "الأسقف" أو "المطران". فمثلاً قد يكون اللقب الرئيس الموجه (ephorus) أو رئيس الكنيسة أو المراقب أو رئيس السينودس. ويؤمن اللوثريون أن خدمة الرئاسة ليست بالضرورة فردية، بل يمكن أن تكون مجمعيّة، حيث المرسومون وغير المرسومين يتشاركون معاً.[٦٩]

الخلافة الرسولية

١٨٥. يختلف الكاثوليك واللوثريون في نظرتهم إلى هيكلية الخدمات أو الرتب التي تضمن تسلسل الخلافة الرسوليّة في الكنيسة. لكنهم يتفقون "أن الأمانة للإنجيل الرسوليّ تُعطى الأولوية في تفاعل التقليد (*traditio*) والخلافة الرسولية (*successio*) والشركة (*communio*)" (أساس رسولية الكنيسة هي الأمانة للإنجيل الرسولي) (*ApC* 292). ولهذه الاتفاقية نتائج بالنسبة إلى اعتراف الكاثوليك بأن الأفراد "الذين يمارسون مهمة الإشراف التي تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية عن طريق الأساقفة" هم أيضاً "يحملون مسؤولية خاصة تجاه رسولية العقيدة في كنائسهم" ولذلك يستحيل إقصاؤهم من "دائرة هؤلاء الذين يكون إجماعهم، بحسب النظرة الكاثوليكية، علامة لرسولية العقيدة" (*ApC* 291).

خدمة الكنيسة الجامعة

١٨٦. ويتفق اللوثريون والكاثوليك بأن خدمة الرسامة تخدم الكنيسة الجامعة ."يفترض اللوثريون أن الجماعة الكنسيّة المجتمعة للعبادة تشترك في علاقة أساسية مع الكنيسة الجامعة"،

[69] In 2007, the LWF Council adopted "Episcopal Ministry within the Apostolicity of the Church: The Lund Statement of by the Lutheran World Federation – A Communion of Churches." While "not intended to be a magisterial document," the text seeks to clarify for the Lutheran Communion a number of questions concerning *episkopé*, with attention both to Lutheran tradition and to the fruits of ecumenical engagements. See www.lutheranworld.org/lwf/index.php/affirms-historic-statement-on-episcopal-ministry.html

وأن "هذه العلاقة هي أساسية بالنسبة إلى الجماعة المصلية المسيحية وليست شيئاً يضاف إليها" (*ApC* 285). ورغم أن الأساقفة الكاثوليك "يمارسون سلطتهم الرعائية على قسم من شعب الله، ويلتزمون رعايتهم وليس على الكنائس الأخرى ولا على الكنيسة الجامعة" فإن كل أسقف "ملزم بهموم الكنيسة الجامعة" (*LG* 23). وأسقف روما هو "راعي الكنيسة جمعاء" بحكم أسقفيته (*LG* 22).

الاختلافات في فهم خدمة الرسامة

رتبة الأسقفية (أو الإشراف)

١٨٧. لا تزال ثمة اختلافات مهمة بالنسبة إلى فهم خدمة الرسامات في الكنيسة. وتقرّ وثيقة " رسولية الكنيسة" أنه بالنسبة إلى الكاثوليك فإن الأسقفية هي الشكل الكامل لخدمة الرسامة، ولذلك فهي نقطة الانطلاق للتفسير اللاهوتي للخدمة في الكنيسة. وتشير الوثيقة إلى المجمع الفاتيكاني الثاني (نور الشعوب ٢١) (*Lumen Gentium* 21): "والمجمع المقدس يُعَلِّم أن الرسامة الأسقفية تعطي ملء سر الكهنوت... وتُولي مع وظيفة التقديس وظائف التعليم والتدبير، هذه الوظائف التي من طبيعتها لا يمكن أن تُمارَس إلا في الشركة التراتبية بين رئيس الجماعة وأعضائها" (cited in *ApC* 243).

١٨٨. وأعاد المجمع الفاتيكاني الثاني التأكيد على التالي: "يُعلِّمُ المجمع المقدس أن الأساقفة بقوة التأسيس الإلهي يخلفون الرسل كرعاة للكنيسة، بحيث أنه من سمعهم سمع المسيح ومن احتقرهم احتقر المسيح، والذي أرسل المسيح" (*LG* 20). ومع ذلك، وبحسب العقيدة الكاثوليكية، "إن الأسقف الفرد ليس ضمن الخلافة الرسولية بحكم كونه جزءاً من سلسة تاريخية ممكن إثباتها وغير متقطعة بوضع الأيدي من خلال أسلافه المتصلين بأحد الرسل"، ولكنه ضمن الخلافة الرسولية" بكونه في شركة مع جميع الأساقفة في رتبة الأسقفية والتي بجملتها تخلف جماعة الرسل ورسالتهم" (*ApC* 291).

١٨٩. يمثّل هذا المنظور حول الخدمة والذي يبدأ بالأسقفية تحوّلاً عن التركيز على الكهنوت كما في مجمع ترنتو، بينما يؤكد على أهمية الخلافة الرسولية. هذا على الرغم من تشديد وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني "نور الشعوب" (Lumen Gentium) على جانب الخدمة لهذه الخلافة دون إنكار للأبعاد العقائدية والإرسالية والوجودية للخلافة الرسولية (*ApC* 240). ولهذا السبب، يساوي الكاثوليك بين الكنيسة المحلية والأبرشية، معتبرين أن العناصر الأساسية للكنيسة هي الكلمة والأسرار المقدسة والخدمة الرسولية في شخص الأسقف (*ApC* 284).

رتبة الكهنوت

١٩٠. يختلف الكاثوليك عن اللوثريين في تفسيرهم لهوية الكاهن بالنسبة إلى السرّ المقدس والعلاقة بين الكهنوت كسرّ مقدس وكهنوت المسيح. ويؤكد الكاثوليك: "يكرّس الله الكهنة بواسطة الأسقف شركاء في كهنوت المسيح بصورة مميزة، وعندما يقومون بالمهام المقدسة فإنهم يقومون بها كخدّام لذاك الذي يتمّم بروحه، باستمرار دوره الكهنوتي في الليتورجيا لمنفعتنا" (*PO* 5).

كمال علامة السرّ المقدس

١٩١. تفتقر الرسامات اللوثرية بحسب الفهم الكاثوليكي إلى كمال علامة السرّ المقدس. ففي العقيدة الكاثوليكية: "إن عقيدة الخلافة الرسولية وممارستها في الرتبة الأسقفية هي بالإضافة إلى الخدمة الثلاثية الأجزاء – الوعظ والليتورجيا والقيادة – جزء من البنية الكاملة للكنيسة. وتتحقق هذه الخلافة بطريقة جماعية عندما يواكب الأساقفة مجمع الأساقفة الكاثوليك فتكون لديهم سلطة الرسامة. فلذا وبحسب العقيدة الكاثوليكية فإنه لا توجد في الكنائس اللوثرية علامة السرّ المقدس للرسامة بشكل كامل، لأن من يقوم بالرسامة ليس في

شركة مع المجمع الأسقفي الكاثوليكي. ولهذا فإن المجمع الفاتيكاني الثاني يتحدث عن "نقص في سرّ الكهنوت" (*UR* 22) في هذه الكنائس" (*ApC* 283).[٧٠]

الخدمة على مستوى المسكونة

١٩٢. أخيراً، يختلف الكاثوليك واللوثريون في مفهومهم لرتبة المرسومين وسلطتهم ورئاستهم في ما هو خارج المستوى الإقليمي. فبالنسبة إلى الكاثوليك، لدى بابا روما "سلطان كامل ومطلق وشامل على الكنيسة" (*LG* 22). ويعتبر مجمع الأساقفة أيضاً "بالاتحاد مع الحبر الروماني، رأسه، وغير منفصل عن هذا الرأس، صاحب السلطة العليا والكاملة على الكنيسة جمعاء" (*LG* 22). وتشير وثيقة "رسولية الكنيسة" إلى وجود آراء متباينة بين اللوثريين في ما يتعلق "بصلاحية الهيئات الرئاسية على كل كنيسة بمفردها ومدى إلزامية قراراتها" (*ApC* 287).

أمور للأخذ بعين الاعتبار

١٩٣. كثيراً ما لوحظ في الحوار أن العلاقة بين الأساقفة وكهنة الكنيسة لم تكن مفهومة في بداية القرن السادس عشر كما أضحت فيما بعد في المجلس الفاتيكاني الثاني. إن الرسامات الكهنوتية في ذلك الوقت يجب أن تُفهم في سياق تلك المرحلة. ومن المهم أن المسؤوليات المتعلقة بالرتب المختلفة لدى الكاثوليك واللوثريين كثيراً ما كانت متشابهة.

١٩٤. لقد استطاعت رتبة "الخدام المرسومين" اللوثريين عبر التاريخ أن تقوم بواجبها في الحفاظ على الكنيسة في مسيرتها في الحقّ، وبالتالي كان بالإمكان بعد نحو خمسمائة سنة من

[70] See Randall Lee and Jeffrey Gros, FSC (eds), *The Church as Koinonia of Salvation: Its Structures and Ministries* (Washington, D.C.: United States Conference of Catholic Bishops,2005), 49–50, §§107–109.

بداية الإصلاح إعلان إجماع كاثوليكي لوثري على الحقائق الأساسية لعقيدة التبرير. وإذا كان الروح القدس يستخدم جماعات كنسيّة كأدوات للخلاص، كما يقول المجمع الفاتيكان الثاني، فإنه بالإمكان أن ينطوي عمل الروح هذا على اعتراف متبادل "برتبة الخدام المرسومين". هكذا إذاً، فإن "رتبة الخدام المرسومين" تقدم، من جهة، عقبات جمّة للفهم المشترك، ومن جهة أخرى، وجهات نظر تتضمن أملاً أكبر للتقارب.[٧١]

الكتاب المقدس والتقليد

فهم وتفسير لوثر للكتاب المقدس والتقليد البشري

١٩٥. إنّ الجدال الذي بدأ بانتشار الاحتجاجات الخمس والتسعين حول الغفرانات أثار بسرعة السؤال: ما هي السلطات التي يمكن الرجوع إليها في وقت الخلاف؟ أجاب سيلفيستر بريرياس (Sylvester Prierias) لاهوتي المحكمة البابوية في رده على احتجاجات لوثر: "من لا يتمسك بتعاليم الكنيسة الرومانية والبابا على أنّها قانون إيمان معصوم عن الخطأ، ومنها يستمدّ الكتاب المقدس قدرته وسلطته، فهو هرطوقي".[٧٢] وردّ جون إيك (John Eck) على لوثر : "لا يمكن اعتبار الكتاب المقدس أصيلاً من دون سلطة الكنيسة".[٧٣] وتحوّل الصراع سريعاً جداً من الجدل حول مواضيع عقائدية (الفهم الصحيح للغفرانات والكفارة وحلّ الخطايا) إلى موضوع السلطة في الكنيسة. ففي حالات شبّ فيها صراع بين سلطات مختلفة، أصرّ لوثر على اعتبار الكتاب المقدس وحده الحَكَم النهائي، لأنه أثبت نفسه على أنه سلطته فعّالة وقويّة، على حين تستمّد جميع السلطات الأخرى سُلطانَها ومرجعيتها منه.

[71] These questions have also been explored by the Ökumenischer Arbeitskreis evangelischer und katholischer Theologen; their work has been collected in *Das kirchliche Amt in apostolischer Nachfolge*, 3 vols (Freiburg: Herder and Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 2004, 2006, 2008).
[72] Sylvester Prierias, Dialogue de potestate papae, in P. Fabisch and E. Iserloh (eds), *Dokumente zur Causa Lutheri* (1517–1521), vol. I, (Münster: Aschendorff, 1988), 55.
[73] John Eck, Enchiridion locorum communium adversus Lutherum et alios hostes ecclesiae (1525–1543), in P. Fraenkel (ed.), *Corpus Catholicorum* 34 (Münster: Aschendorff, 1979), 27.

١٩٦. واعتبر لوثر الكتاب المقدس "المبدأ الأول"[٧٤] الذي تُبنى عليه كل الأحكام اللاهوتية بشكل مباشر أو غير مباشر. وكان لوثر أستاذاً وواعظاً ومرشداً ومحاوراً، ومارس اللاهوت على أنه تفسير الكتاب المقدس تفسيراً ثابتاً غيرَ متناقض ومتعدِّدَ الأوجه. وكان مقتنعاً أنه يتعين على المسيحيين واللاهوتيين لا أن يدرسوا الكتاب المقدس فحسب، بل العيش معه والثبات فيه. ودعاه "الرحم الوالدي الإلهي" الذي فيه يحبل بنا ويحملنا ويلدنا".[٧٥]

١٩٧. إنّ المنهج السليم لدراسة اللاهوت بحسب لوثر ينطوي على مسيرة فيها ثلاث خطوات: الصلاة والتأمل والاختبار.[٧٦] وينبغي على المرء أن يقرأ الكتاب المقدس في حضور الله بالصلاة وأن يطلب من الروح القدس أن يكون هو المعلم، وفيما يتأمل في كلمات الكتاب المقدس يتنبّه على مواقف الحياة التي كثيرا ما تبدو مناقضة لما يجد بين صفحاته. وخلال هذه المسيرة يثبت الكتاب المقدس سلطته بتغلبه على كلّ العقبات. كما قال لوثر: "لاحظ أن قوة الكتاب المقدس هي هذه: وهي أنه لا يتغير بحسب الشخص الذي يدرسه، ولكنه هو الذي يحوِّل إلى جوهره ويملأ بقوته الشخص الذي يحبّ الكتاب".[٧٧] وفي هذا السياق من الاختبار الشخصي، يظهر جلياً أن ليس فقط الإنسان هو الذي يفسر الكتاب المقدس، ولكن الكتاب هو الذي يفسّر الإنسان، وهنا تظهر قدرة الكتاب المقدس وسلطته.

١٩٨. ويشهد الكتاب المقدس على وحي الله، ولذلك على اللاهوتيّ أن يتبع بدقة الطريقة التي تعبّر عن وحيّ الله في الكتب المقدسة (طريقة كلام الكتاب المقدس). وإلا فإننا لن نعطي الوحي الإلهي حقّه. وتندمج الأصوات المتعددة داخل الكتاب المقدس معاً اندماجا تاماً وذلك باعتمادها يسوع المسيح مرجعاً: "أخرج المسيح من الكتاب المقدس ولن تجد فيه أي شيء بعد ذلك".[٧٨] لهذا السبب، فإن المعيار في قانونية الكتب المقدسة وتحديد قانونيتها هو المسيح: "ماذا يوجِّه إلى المسيح؟" وهو معيار طوّره مارتن لوثر على الكتاب المقدس نفسه وطبّقه نقديّاً في حالات معيّنة على بعض أسفار الكتاب المقدس مثل رسالة يعقوب.

---

[74] See *WA* 7; 97, 16–98, 16.
[75] *WA* 10/1, 1; 232, 13–14.
[76] Luther, Preface to the Wittenberg edition of Luther's German writings (1539), tr. Robert R. Heitner, in *LW* 34:285; *WA* 50; 559, 5–660, 16.
[77] Luther, First Lectures on the Psalms, tr. Herbert J. A. Bouman, in *LW* 10:332; *WA* 3; 397, 9–11.
[78] Luther, Bondage of the Will, tr. Philip S. Watson with Benjamin Drewery, in *LW* 33:26; *WA* 18; 606, 29.

١٩٩. ولم يستعمل لوثر تعبير "الكتاب المقدس وحده" (*Sola Scriptura*) إلا نادراً. لقد كان اهتمامه الأساسي أن لا سلطة أعلى من سلطة الكتاب المقدس، وكان يعادي بأشد القسوة أي شخص أو تفسير حرَّف أو غيَّرَ أحكام الكتاب المقدس. ولكنه حتى عندما أكدّ سلطة الكتاب المقدس وحدها، فإنه لم يقرأه وحده، بل رجع إلى سياقات معينة معتمداً مرجعية قوانين الإيمان للكنيسة الأولى المختصة بهوية المسيح والثالوث الأقدس. وتعبّر هذه الإقرارات حسب مفهوم لوثر عن قصد الكتاب المقدس ومعناه. واستمر يدرّس الكتاب المقدس من خلال كتابي التعليم الصغير والكبير (Small and Large Catechism) اللذين وضعهما واعتبرهما تلخيصات قصيرة للكتاب المقدس، ووضع تفسيراته استنادا إلى آباء الكنيسة، ولا سيما أوغسطين. واستخدم لوثر بشكل كبير تفسيرات أخرى كانت متوفرة في زمنه، واستخدم أيضاً جميع الأدوات المتاحة في العلوم اللغوية والإنسانية. وتفاعلت تفاسيره للكتاب المقدس مع المفاهيم اللاهوتية في عصره وفي الأجيال السابقة. وكانت قراءاته للكتاب المقدس مبنية على عنصر الاختبار، وكان يطبقها بصورة متسقة في داخل جماعة المؤمنين.

٢٠٠. ولا يتعارض الكتاب المقدس بحسب فكر لوثر مع كلّ ما في التقليد، بل مع ما سماه "تقاليد بشرية". وقال عن هذه التقاليد: "نحن نعيب عقائد البشر، ليس لأن بشراً صرحوا بها بل لأنها أكاذيب وتجاديف على الكتاب المقدس. وصحيح أن الكتاب المقدس كتبه بشر إلا أنه غير صادر عن بشر ولم يكتبه بشر بل وضعه الله."[٧٩] وعند تقييم سلطة أخرى للكتاب المقدس فإن سؤال لوثر الحاسم هو: هل تجعل هذه السلطة الكتاب المقدس مبهماً؟ أم أنها تجعل رسالته مقنعة فتكون ذات معنى في سياق خاص؟ هناك وضوح خارجي في الكتاب المقدس، لذا يمكن تحديد معناه. وهناك قوة من الروح القدس، لذا يستطيع الكتاب المقدس أن يقنع قلب الإنسان بالحقّ. هذا الحق هو الوضوح الداخلي للكتاب المقدس. هكذا فإن الكتاب المقدس يفسّر نفسه.

[79] *WA* 10/2; 92, 4–7.

الكنيسة الكاثوليكية: الكتاب المقدس والتقليد والسلطة

٢٠١. في وقت ظهرت فيه أسئلة جديدة تتعلق بالتقليد وسلطة تفسير الكتاب المقدس، حاول مجمع ترنتو ولاهوتيّو ذلك الزمن أن يقدموا جواباً معتدلاً. تُثرى الحياة الكنسية في الخبرة الكاثوليكية وتتحدّد معالمها بعوامل متنوعة يستحيل اختزالها بالكتاب المقدس وحده. واعتمد مجمع ترنتو الكتابَ المقدس والتقليد الرسولي غير المكتوب على أنهما وسيلتان لنقل الإنجيل. وهنا يجب التمييز بين التقليد الرسولي والتقاليد الكنسيّة، والتي وإن كانت ذات قيمة غير أنها ثانوية وقابلة للتغيير. وكان الكاثوليك أيضاً حذرين من احتمالية خطر الوصول إلى استنتاجات عقائدية مبنيّة على تفسيرات فردية للكتاب المقدس. في ضوء هذا الأمر، أكدّ مجمع ترنتو أن التفسير الكتابي ينبغي أن يسترشد بالسلطة التعليمية للكنيسة.

٢٠٢. وطور معلمون كاثوليك مثل ميلكيوار كانو (Melchior Cano) مفهوماً يرى به أن تقييم سلطة تعليم الكنيسة هو أمر متعدد الجوانب. فطوّر نظاماً مبنيًّا على عشرة مصادر لاهوتية. فعالج بالتتابع: سلطة الكتاب المقدس، والتقليد الشفهي، والكنيسة الكاثوليكية، والمجامع الكنسية، وآباء الكنيسة، واللاهوتيين المدرسيين الرسميين (Scholastics)، وأهمية الطبيعة، والمنطق العلمي، وسلطة الفلاسفة، وسلطة التاريخ. وأخيرًا نظر في استخدام وتطبيق هذه المصادر في الجدال المدرسي الرسمي أو الجدال اللاهوتي.[٨٠]

٢٠٣. وخلال القرون المتعاقبة ظهر تيّار لتمييز السلطة التعليمية للكنيسة الكاثوليكية على أنها سلطة تفسيرية ملزمة ومتميزة عن المصادر اللاهوتية الأخرى. وفي بعض الأحيان تمّ الخلط بين التقاليد الكنسية والتقليد الرسولي، فنُظر إليها على أنها مصادر متساوية للإيمان المسيحي. وكان ثمة أيضًا رفض لقبول إمكانية نقد التقاليد الكنسيّة. ويحتوي لاهوت المجمع الفاتيكاني الثاني، بصورة عامة، نظرة أكثر اتزاناً لمختلف السلطات داخل الكنيسة وللعلاقة بين الكتاب المقدس والتقليد. ويؤكد نص المجمع الرسمي في الوثيقة "كلمة الله" (*DV* 10)، وذلك للمرة الأولى، أن سلطة الكنيسة التعليمية "ليست فوق كلام الله لكنها لخدمته."

[80] Melchior Cano, *De locis theologicis*, Book 1, chap. 3 (Migne, *Theologiae cursus completus* 1 [Paris, 1837]), col. 62.

٢٠٤. تمّ التشديد وبقوة على دور الكتاب المقدس في حياة الكنيسة في المجمع الفاتيكاني الثاني: "ولكلام الله من الشدَّة والفاعلية بحيث إن الكنيسة تجد فيه دعامة وقوة، وأبناءها يجدون فيه لإيمانهم عضداً ولنفسهم قوتاً، ولحياتهم الروحية ينبوعاً صافياً وخالداً" (*DV* 21).[٨١] لذلك يجب حثّ المؤمنين على قراءة الكتاب المقدس فيتحدث الله فيه إليهم، وينبغي أيضاً أن تُصاحب قراءته بالصلاة (*DV* 25).

٢٠٥. ويساعد الحوار المسكوني اللوثريين والكاثوليك على التوصل إلى نظرة أكثر وعياً عن نقاط المرجعية والسلطات التي تؤدي دوراً في عملية الوصول إلى معنى الإيمان المسيحي وكيف يجب أن يشكّل هذا الإيمان حياة الكنيسة.

الحوار الكاثوليكي اللوثري حول الكتاب المقدس والتقليد

٢٠٦. نتيجة التجديد الكتابي الذي ألهم الدستور العقائدي في الوحي الإلهي (*Dei Verbum*) الذي أصدره المجمع الفاتيكاني الثاني، أضحى ظهور فهم مسكوني جديد لدور الكتاب المقدس وأهميته ممكناً. إذ تصرّح الوثيقة المسكونية رسوليّة الكنيسة: "لا تتمسك العقيدة الكاثوليكية بما يخشاه لاهوت الإصلاح وما يريد أن يتجنّبه بأي ثمن، وهو أن سلطة الكتاب المقدس القانونية والملزمة هي مستمدة من سلطة الكنيسة التي حدّدت قانون الكتاب المقدس" (*ApC* 400).

٢٠٧. وأكد الكاثوليك في الحوار القناعات المشتركة مع الإصلاح مثل فعاليّة النصّ الكتابي الذي أوحاهُ الروح "في نقل الحقّ المُعلن الذي يشكّل العقول والقلوب، كما تأكّد ذلك في ٢ تيموثاوس ١٧:٣ وصُرّح به في المجمع الفاتيكاني الثاني (*DV* 21-25)" (*ApC* 409). ويضيف الكاثوليك "إن هذه الفعّاليّة عاملة في الكنيسة عبر الزمن، ليس في المؤمنين على مستوى الفرد فحسب، بل في التقليد الكنسي أيضاً وذلك على كلّ الأصعدة، من تعابير ذات مستوى

[81] www.vatican.va/archive/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vat-ii_const_19651118_dei-verbum_en.html.

عقائدي عالٍ مثل قانون الإيمان والعقائد وتعليم المجامع وعلى صعيد البنى الأساسية للعبادة العامة... وقد جعل الكتاب المقدس نفسه حاضراً في التقليد، لذلك يستطيع التقليد أن يؤدي دوراً أساسياً في التفسير. ولا يقول المجمع الفاتيكاني الثاني إن التقليد يأتي بحقائق جديدة تتعدى الكتاب المقدس، بل إنه ينقل اليقين حول الوحي الإلهيّ الذي يؤكده الكتاب المقدس" (*ApC* 410).

٢٠٨. إنّ أحد ثمار الحوار المسكوني بالنسبة إلى اللّاهوت اللوثري هو انفتاح هذا اللاهوت على الإيمان الكاثوليكي بأن فعاليّة الكتاب المقدس لا تؤثر في حياة الأفراد فحسب بل في الكنيسة جمعاء أيضاً. والدليل على هذا يكمن في دور الإقرارات اللوثرية في الكنائس اللوثرية.

الكتاب المقدس والتقليد

٢٠٩. يختلف اليوم فهم الكنيسة الكاثوليكية في روما لدور الكتاب المقدس والتقليد وأهميتهما عمّا كان عليه معارضو لوثر من اللاهوتيين. وبالنسبة إلى السؤال عن التفسير الحقيقي للكتاب المقدس، فإن الموقف الكاثوليكي هو كالتالي: "عندما ترى العقيدة الكاثوليكية أن لحُكم الكنيسة دوراً للتوصل إلى تفسير حقيقي للكتاب المقدس، فإنها لا تنسب إلى سلطة الكنيسة التعليمية احتكار التفسير، وهو ما يخشاه ويرفضه وبحقّ المصلحون. فقد أشارت شخصيات مهمة قبل الإصلاح إلى تعدد المفسرين الكنسيين... وعندما يتحدث المجمع الفاتيكاني الثاني عن الكنيسة بأنها تملك "حكماً نهائياً" (*DV* 12) فهو يتجنّب وبوضوح مطالبة احتكارية مفادها أن السلطة التعليمية الكنسيّة هي الجهاز الوحيد للتفسير، وهو ما تؤكده كل من السلطة الرسمية للدراسات الكتابية الكاثوليكية التي تعود إلى قرن سابق، والاعتراف الذي في البند (*DV* 12) الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني حول دور علم التفسير في تطوير ونموّ تعليم الكنيسة الكاثوليكية" (*ApC* 407).

٢١٠. ولهذا يستطيع اللوثريون والكاثوليك أن يتوصلوا سويّة إلى الاستنتاج التالي: "بالنسبة إلى الكتاب المقدس والتقليد فإن اللوثريين والكاثوليك متفقون بشكل واسع النطاق بأن تشديد

كلّ منهم على أمور مختلفة لا يبرّر المحافظة على الانقسام القائم بين الكنيستين. ولذا ثمة وحدة ومصالحة في التنوع" (*ApC* 448).[٨٢]

التطلّع إلى الأمام: الإنجيل والكنيسة

٢١١. أعطى الحوار المسكوني الكاثوليك فهماً أفضلَ للاهوت مارتن لوثر. وأعطى الحوار أيضاً، إضافة إلى البحوث العلمية التاريخية واللاهوتية، لكل من اللوثريين والكاثوليك معرفة متبادلة بعقائدهما ونقاط الاتفاق الرئيسية والمواضيع التي ما زالت تحتاج إلى مزيد من الحوار. وقد كانت الكنيسة موضوعاً مهماً في هذه المباحثات.

٢١٢. كانت طبيعة الكنيسة من المواضيع المتنازع عليها زمن الإصلاح. وكانت المسألة الرئيسية هي العلاقة بين عمل الله الخلاصيّ والكنيسة، وهي التي تقبل نعمة الله وتوصلها بالكلمة والأسرار المقدسة. فكانت العلاقة بين الإنجيل والكنيسة الموضوع الأهم في المرحلة الأولى من الحوار اللوثري الكاثوليكي. ومن الممكن الآن فهم المواقف اللوثرية والكاثوليكية على أساس أفضل بسبب تقرير مالطا ووثائق مسكونية متعددة أخرى ، وكذلك توضيح التفاهمات المشتركة والمواضيع التي تحتاج إلى بحث إضافي.

الكنيسة في التقليد اللوثري

٢١٣. يفهم التقليد اللوثري الكنيسة على أنها "جماعة المؤمنين حيث يبشرون بكلمة الله بنقاء وصفاء وحيث يوزع السرّان المقدسان حسب الإنجيل " (اقرار أوغسبرغ ٧). هذا يعني أن مركز الحياة الروحية هو في الجماعة الكنسية المحلية المجتمعة حول المنبر والمذبح. ويتضمن ذلك بُعداً جامعاً للكنيسة، لأن كل جماعة كنسية متصلة بالجماعات الكنسيّة الأخرى من خلال

[82] These issues also have been explored in Germany by the Ökumenischer Arbeitskreis evangelischer und katholischer Theologen; their work is available in W. Pannenberg and Th. Schneider (eds), *Verbindliches Zeugnis*, 3 vols (Freiburg: Herder and Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1992, 1995, 1998).

الوعظ النقيّ والاحتفال الصحيح بالسّرين المقدسين، وهي الأمور التي تتأسس عليها الخدمة في الكنيسة. ويجب أن نتذكر أن لوثر قال عن الكنيسة في كتاب التعليم المسيحي الكبير بأنها "الأم التي تنجب وتحمِل كل مسيحي من خلال كلمة الله التي يوحي بها ويعلنها الروح القدس... وسوف يظلّ الروح القدس مع الجماعة المقدسة أو المسيحيين إلى اليوم الأخير، وهو يجذبنا من خلال الكنيسة إلى المسيح ويستخدمها للتعليم والتبشير بالكلمة".[٨٣]

الكنيسة في التقليد الكاثوليكي

٢١٤. إن تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني في وثيقة دستور عقائدي في الكنيسة (*Lumen Gentiam*) أساسي بالنسبة إلى الفهم الكاثوليكي للكنيسة. وفسر آباء المجمع دور الكنيسة في تاريخ الخلاص باستخدام مصطلح "السرّ المقدس": "الكنيسة هي في المسيح بمثابة السرّ، أيّ العلامة والأداة في الاتّحاد الصّميم بالله ووحدة الجنس البشريّ برمتّه " (*LG* 1).

٢١٥. وهناك مفهوم أساسي لتفسير طبيعة الكنيسة على أنها "سرّ علامة وأداة"، وهو مفهوم "السر" الذي لا يدرك، ويؤكد العلاقة غير المنفصلة بين الكنيسة المرئية والكنيسة غير المرئية. علّم آباء المجمع أن: "المسيح، الوسيط الواحد، قد أقام على هذه الأرض كنيسته المقدّسةً، جماعة إيمان ورجاء ومحبة، وهي كيان مرئيّ المعالم ، يفيض فيه على الجميع الحقيقة والنعمة. بيد أنّ هذه الجماعة المجهّزة بأعضاء ذوي سلطات، وجسد المسيح السرّي، يجب ألاّ تعتبر كأنها واقعان منفصلان، وكذلك كنيسة الأرض والكنيسة الغنيّة بنعم السماء. إنما الكنيسة حقيقة واحدة مركبة، مكوَّنة من عنصرين بشريّ وإلهيّ " (*LG* 8).

[83] Luther, Large Catechism, in *BC*, 436–38 (translation altered); *BSLK* 665, 3–6; 667, 42–46.

نحو الإجماع

٢١٦. أجمع المشاركون في الحوار اللوثري الكاثوليكي على ارتباط عقيدة التبرير وعقيدة الكنيسة ارتباطاً وثيقاً. ويتضح هذا الفهم المشترك في الوثيقة التي حملت عنوان الكنيسة والتبرير: "يشهد الكاثوليك واللوثريون معاً أن الخلاص يهبه المسيح وبالنعمة وحدها وبقبول بالإيمان. ويتلوان معاً قانون الإيمان معترفين بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ويُعتبر كلّ من تبرير الخطاة والكنيسة بندان أساسيان للإيمان" (الكنيسة والتبرير ٤).

٢١٧. وتقرّ أيضاً وثيقة الكنيسة والتبرير: "نعلن حرصاً على دقة التعبير بأننا لا نؤمن بالتبرير وبالكنيسة، بل بالآب الذي يرحمنا ويجمعنا في الكنيسة كشعبه، وبالمسيح الذي يبررنا والذي جسده هو الكنيسة، وبالروح القدس الذي يقدسنا ويسكن في الكنيسة. ويشمل إيماننا التبرير والكنيسة بوصفهما عمل الثالوث القدوس والذي يمكن أن نقبله قبولا صحيحًا بالإيمان به فقط" (الكنيسة والتبرير ٥).

٢١٨. وبالرغم من أن وثيقتيّ "الكنيسة والتبرير" و"رسوليّة الكنيسة" قدمتا مساهمات مهمة في عدد من القضايا العالقة بين الكاثوليك واللوثريين، إلا أنه ما زال ثمة حاجة لحوارات مسكونية حول: العلاقة بين المرئي وغير المرئي في الكنيسة، والعلاقة بين الكنيسة الجامعة والكنيسة المحليّة، والكنيسة بوصفها سراً "علامة وأداة"، وضرورة الرسامة السّرية في حياة الكنيسة، والطابع السّري للرسامة الأسقفية. وينبغي أن تأخذ المباحثات المستقبلية بالحسبان العمل المهم الذي أُنجز في هذه الوثائق المهمة وغيرها. وهذا الأمر مُلِحّ جداً لأن الكاثوليك واللوثريين لم يتوقفوا قط عن الاعتراف معاً "بالكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية".

الفصل الخامس

مدعوون إلى إحياء ذكرى مشتركة

المعمودية: أساس الوحدة وإحياء الذكرى المشتركة

٢١٩. الكنيسة جسد المسيح. ولأن ثمة مسيحاً واحداً، فلهُ إذًا جسدٌ واحدٌ. بالمعمودية يصبح البشر أعضاء في هذا الجسد.

٢٢٠. ويعلِّم المجمع الفاتيكاني الثاني أن الذين اعتمدوا ويؤمنون بالمسيح إلا أنهم لا ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية "قد تبرروا بالإيمان في المعمودية، وهم أعضاء في جسد المسيح. ويحقّ لهم أن يُسَمَّوا مسيحيين، وبحقّ يَعترفُ بهم أبناء الكنيسة الكاثوليكية إخوةً في الربّ" (*UR* 3).[٨٤] ويعلم اللوثريون المسيحيون الأمر ذاته عن إخوانهم المسيحيين الكاثوليك.

٢٢١. وبما أن الكاثوليك واللوثريين مرتبطون بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً كأعضاء في جسد المسيح فلذا ينطبق عليهم ما قاله بولس في ١ كورنثوس ١٢:٢٦: "فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ". فإن ما يؤثر في عضو من الجسد يؤثر في سائر الأعضاء. ولهذا السبب عندما يتذكر اللوثريون المسيحيون الأحداث التي قادت إلى تأسيس كنائسهم فإنهم لا يرغبون في أن يقوموا بهذا الأمر بدون شركائهم الكاثوليك المسيحيين. وحين يستذكرون معاً بداية الإصلاح فإنهم يحملون معموديتهم على محمل الجد.

٢٢٢. ولأن اللوثريين يؤمنون أنهم ينتمون إلى جسد المسيح الواحد فإنهم يؤكدون أن كنيستهم لم تنشأ في ظل الإصلاح أو أتت إلى الوجود قبل ٥٠٠ سنة، بل هم مقتنعون أن الكنائس اللوثرية يعود تأسيسها إلى يوم العنصرة وتبشير الرسل. واتخذت كنائسهم طابعها الخاص من خلال تعليم المصلحين وجهودهم. ولم يكن لدى المصلحين أية رغبة في إقامة كنيسة جديدة

[84] www.vatican.va/archive/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vat-ii_decree_19641121_unitatis-redintegratio_en.html.

وبحسب فهمهم لم يفعلوا ذلك. بل أرادوا إصلاح الكنيسة، وتمكنوا من فعل ذلك ضمن مجال تأثيرهم، ولو حدث أحياناً أخطاء وعثرات.

التحضير لإحياء الذكرى

٢٢٣. يستذكر الكاثوليك واللوثريون، كأعضاء في الجسد الواحد، أحداث الإصلاح التي قادت إلى هذا الواقع – وهو أنهم عاشوا في جماعات منقسمة رغم أنهم ما يزالون ينتمون إلى جسد واحد. فهذه إمكانية مستحيلة ومصدر ألمٍ لكليهما. ولأن الكاثوليك واللوثريين ينتمون إلى الجسد الواحد فإنهم يناضلون ضد انقسامهما عن بعضهما البعض ومن أجل "كنيسة جامعة" بحق وحقيقة. ولهذا النضال جانبان: الاعتراف بما هو مشترك ويجمعهما معاً، والاعتراف بما يفرّق. الأول يدعو إلى العرفان بالجميل والفرح، والثاني هو مصدر ألم وحزن.

٢٢٤. وعندما يحتفل المسيحيون اللوثريون عام ٢٠١٧ بإحياء ذكرى بدء الإصلاح فإنهم لا يحتفلون بانقسام الكنيسة الغربية. إذ لا يستطيع أي إنسان ذو وعي لاهوتي أن يحتفل بانقسام المسيحيين بعضهم عن بعض.

الفرح المشترك في الإنجيل

٢٢٥. يشكر اللوثريون الله من أعماق قلوبهم لما قام به لوثر ومصلحون آخرون وتركوه لهم، ألا وهو: فهم إنجيل يسوع المسيح والإيمان به، والتعمّق في سر الله الثالوث الأقدس الذي قدّم نفسه لنا نحن البشر بالنعمة والذي يمكن قبوله بالثقة التامة بالوعد الإلهي، والحرية واليقين اللذان يعطيهما الإنجيل، والمحبة التي تنبع من الإيمان وبالإيمان تُنبَّه، والرجاء الذي يجلبه الإيمان بالحياة والموت، والتواصل الحيّ مع الكتاب المقدس، وكُتب التعليم، والترانيم الروحية التي تُفيض

الإيمان في الحياة. إن ذكرى هذه الأمور وإحيائها يُضيفان أسباباً إضافية للشكر. وهذا العرفان بالجميل هو الذي يجعل اللوثريين المسيحيين راغبين في الاحتفال عام ٢٠١٧.

٢٢٦. ويدرك اللوثريون أيضاً أن ما يشكرون الله عليه هو ليس عطيّة يحتكرونها لأنفسهم، فهم يريدون أن يشاركوا جميع المسيحيين في هذه العطية. ولهذا السبب فإنهم يدعون جميع المسيحيين للاحتفال معهم. فكما أظهر الفصل السابق، يشترك الكاثوليك واللوثريون في الكثير من جوانب الإيمان إذ يُمكنهم، بل ويجب عليهم، أن يكونوا شاكرين معاً، ولا سيما يوم الاحتفال بإحياء ذكرى الإصلاح.

٢٢٧. وهذا الشكر يجد دعماً في ما صرّح به المجمع الفاتيكاني الثاني: "من الضروري أن يعترف الكاثوليك بفرح بالخيور المسيحية الصحيحة التي تنبع من تراثنا المشترك والتي توجد عند الإخوة المنفصلين عنّا. وإنه لحقّ وخلاصيّ أن نعترف بغنى المسيح وأعمال الفضيلة في حياة الآخرين الذين يشهدون للمسيح، أحياناً حتى سفك الدم. فالله هو دوماً عجيب في اعماله، ومن يستحق أن نسبحه تسبيحا دائما". (*UR* 4).

أمور نأسف ونرثي لها

٢٢٨. بينما يبعث إحياء الذكرى عام ٢٠١٧ الفرح والاعتراف بالجميل، ينبغي أن يتيح المجال أيضاً للّوثريين والكاثوليك كي يعبروا عن الألم بسبب الفشل والعثرات والذنب والخطيئة في الأشخاص والأحداث التي نذكرها.

٢٢٩. سيتذكر اللوثريين أيضاً بهذه المناسبة البيانات الباطلة والمهينة التي أطلقها مارتن لوثر ضد اليهود. وهم يخجلون منها ويستنكرونها. ويعترف اللوثريون أيضًا بشعور عميق من الأسى باضطهاد السلطات اللوثرية لمعيدي المعمودية الأنابابتستيين (Anabaptists) ولأن مارتن لوثر وفيليب وميلانختون دعما هذا الاضطهاد لاهوتيا. كما ويأسفون لهجوم لوثر العنيف على الفلاحين خلال حرب الفلاحين. ولأن اللاهوتيون اللوثريون يعرفون الجوانب المظلمة في حياة

لوثر والإصلاح فقد زرع هذا فيهم روح نقد الذات ونظرة نقدية للوثر وإصلاح فيتنبرج. ورغم أنهم يوافقون جزئياً على نقد لوثر للبابوية، إلا أن اللوثريين اليوم يرفضون وصفَ البابا بأنه المسيح الدجال.

الصلاة من أجل الوحدة

٢٣٠. ولأنّ يسوع المسيح صلى إلى الآب قبل موته " ليكونوا واحداً"، فمن الواضح أن انقسام جسد المسيح يناقض إرادة الرب. ويناقض أيضا قول الحثّ الرسولي الذي نقرأه في الرسالة إلى أفسس ٤:٣-٦: "مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءٍ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ". إن انقسام جسد المسيح مناقض لإرادة الله.

تقييم الماضي

٢٣١. وعندما يستذكر الكاثوليك واللوثريون معاً الخلافات اللاهوتية وأحداث القرن السادس عشر من هذا المنظور، ينبغي أن يأخذوا بعين الاعتبار ظروف القرن السادس عشر. فلا يمكن لوم اللوثريين والكاثوليك على كل ما حصل لأن بعض أحداث القرن السادس عشر كانت خارجة عن إرادتهم وسيطرتهم. كانت القناعات اللاهوتية والقوى السياسة تتشابك في القرن السادس عشر في كثير من الأحيان بعضها ببعض. قدّ استغل سياسيون متعددون أفكاراً لاهوتية خالصة لتحقيق مآربهم، على حين روّج كثيرٌ من اللاهوتيين لاجتهاداتهم اللاهوتية بوسائل سياسية. ولذا وفي هذه الساحة ذات العوامل المتعددة يتعذّر علينا أن نعزو المسؤولية عن نتائج أحداث معينة إلى أشخاص معينين ونقرر أنهم هم المذنبون.

٢٣٢. كان أساس انقسامات القرن السادس عشر فهماً مختلفاً لحقيقة الإيمان المسيحي، واشتدَّ النزاع لأن الاعتقاد كان أن القضية هي قضية الخلاص. وفي كلا الجانبين كان هناك أشخاص يحتفظون بقناعات لاهوتية لا يستطيعون التخلي عنها. وينبغي ألا يلام أحدٌ لاتباعه ضميره الذي تكوَّن وفقاً لكلمة الله وبعد تبادل الآراء الجاد مع الآخرين.

٢٣٣. وأما طريقة عرض اللاهوتيين لقناعاتهم اللاهوتية في المعركة أمام الرأي العام فهي قضية أخرى تماماً. ففي القرن السادس عشر أساء الكاثوليك واللوثريون فهم بعضهم البعض بل أيضا بالغوا في كلامهم على الآخر وسخروا من المعارضين لاهانتهم أمام الغير. فخالفوا الوصية الثامنة مراراً وهي التي تحظر شهادة الزور على القريب. وعلى الرغم من أن الخصوم كانوا أحيانا عادلين فكرياً بعضهم مع بعض، فإنه لم يكن لديهم الاستعداد الكافي للاستماع إلى الآخر والتعامل مع اهتماماته بجدّية. كان المجادلون يريدون دحض خصومهم والانتصار عليهم، فتسببوا أحياناً وعن عمد بتعميق الصراع بدلاً من البحث عن حلول والبحث عن المشترك. وقد لعبت الأفكار المسبقة وسوء الفهم دوراً كبيراً في إضفاء صورة سلبية على الآخر. فتمّ ترسيخ المعارضات المتناقضة وتسلمتها الأجيال المتعاقبة. وهنا على كلا الطرفين أن يتأسفوا لبعضهم البعض ويَرثُوا لحالهم بسبب الطريقة التي أداروا بها النقاش. ولهذا يتحمّل اللوثريون والكاثوليك ذنباً ينبغي الاعتراف به علانية في إحياء ذكرى الأحداث التي جرت قبل ٥٠٠ عام.

الاعتراف الكاثوليكي بالخطايا ضد الوحدة

٢٣٤. اشتكى البابا هدريانس السادس (Pope Hadrian VI) إلى المجلس الإمبراطوري الذي عقد في مدينة نورمبرغ (Nuremberg) بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني ١٥٢٢ من انتهاكات وتجاوزات وخطايا وأخطاء اقترفتها السلطات الكنسية. وبعد ذلك بمدة طويلة، في القرن الماضي، طلب البابا بولس السادس (Pope Paul VI) العفو من الله والإخوة المنقسمين في الشرق وذلك في خطاب الافتتاح في الاجتماع الثاني من المجمع الفاتيكاني الثاني. وتم التعبير

عن هذه اللفتة من قبل البابا في المجمع بشكل خاص في وثيقة "قرار في الحركة المسكونية"[٨٥] وأيضاً في "البيان حول علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية" (*Nostra Acetate*).[٨٦]

٢٣٥. واعترف كذلك البابا يوحنا بولس الثاني (Pope John Paul II) في عظة له في زمن الصوم بعنوان "يوم الغفران الإلهي" بالذنب وقدم صلوات طلب فيها المغفرة كجزء من إحياء الاحتفال بالألفية الثانية.[٨٧] وكان أول من يعيد التعبير عن أسف سَلفه البابا بولس السادس وآباء المجمع بخصوص الذكريات المؤلمة، وليس هذا فقط، بل كان أيضاً أول من يقوم بعمل شيء ما من أجل ذلك. وطلب الغفران أيضًا لمنصب أسقف روما. وأشار في براءته بعنوان "ليكونوا واحداً" (*Ut Unum Sint*) إلى زيارته إلى مجلس الكنائس العالمي في جنيف في ١٢ حزيران ١٩٨٤ معترفاً: "إن اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية أنها حافظت على العلامة المنظورة وضمان الوحدة، في خدمة أسقف روما، وبالأمانة على التقليد الرسولي وإيمان الآباء،- أن هذا الاعتقاد يُشكّل عقبةً لغالبيّة المسيحيّين الآخرين الذين دَمغت ذاكرتهم بعض الذكريات الأليمة". ثم أضاف: "بقدر ما نحن مسؤولون عن ذلك، فإني أنضم إلى سلفي البابا بولس السادس وأطلب المغفرة".[٨٨]

الاعتراف اللوثري بالخطايا ضد الوحدة

٢٣٦. صرّح الاتحاد اللوثري العالمي في اجتماعه الخامس في مدينة أفيان في رده على الكلمة المؤثرة جداً التي قدمها الكاردينال ويليبراندس (Jan Cardinal Willebrands): "نحن المسيحيين اللوثريين، وأبناء كنائسنا، مستعدون للاعتراف بأن حُكم المصلحين على الكنيسة

---

[٨٥] "فإننا بصلاة متواضعة نستغفر الله والاخوة المنفصلين كما نغفر لمن أساء الينا". قرار في الحركة المسكونية، ٧ (*UR* 7).

[٨٦] "إن الكنيسة التي تشجب الاضطهادات كلها ضد الناس أياً كانوا، تتأسف للبغضاء وللاضطهادات ولكل مظاهر مقاومة السامية التي استهدفت اليهود في اي زمن كان وأياً كان مقترفوها" بيان في علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، ٤ (*NA* 4).

[87] John Paul II, Day of Pardon, 12 March 2000, at www.vatican.va/holy_father/john_paul_ii/homilies/2000/documents/hf_jp-ii_hom_20000312_pardon_en.html.

[88] John Paul II, *Ut Unum Sint*, 25 May 1995, 88.

الكاثوليكية ولاهوتها لم يكن خالياً من التشويه والنهج الجدليّ، وهذا أمرٌ يستمر جزئياً إلى يومنا هذا. ونحن آسفون حقا للإساءة وسوء الفهم اللذين سببهما هذا النهج الجدلي العنيف لإخوتنا الكاثوليك. ونذكر بالشكر بيان البابا بولس السادس إلى المجمع الفاتيكاني الثاني الذي طلب فيه الغفران لأي إساءة سببتها الكنيسة الكاثوليكية. وبما أننا نصلي جميعنا مع جميع المسيحيين من أجل المغفرة في الصلاة التي علمنا إياها ربنا، فدعونا نعمل من أجل أسلوب حوار يتصف بالوضوح والصدق والمحبة".[٨٩]

٢٣٧. وأقرّ اللوثريون بأخطائهم نحو تقاليد مسيحية أخرى. وقد صرح الاتحاد اللوثري العالمي في اجتماعه الحادي عشر بمدينة شتوتجارت عام ٢٠١٠ أن اللوثريين "ممتلئون بإحساس عميق من الحزن والألم لاضطهاد "معيدي المعمودية" (الأنابابتسيون) (Anabaptists) على يد السلطات اللوثرية ولا سيما للدعم اللاهوتي الذي قدمه المصلحون اللوثريون لهذا الاضطهاد. ولهذا يرغب الاتحاد اللوثري العالمي... في أنّ يعبّر علانية عن الأسف والحزن. وإذ نضع ثقتنا بالله الذي كان مصالحاً العالم بيسوع المسيح، فنحن نطلب المغفرة من الله ومن أخواتنا وإخوتنا المينونايت (Mennonite) بسبب الضرر الذي ألحقه أسلافنا في القرن السادس عشر بمعيدي المعمودية (الأنابابتسيون)، ولنسيانهم أو تجاهلهم لهذا الاضطهاد في القرون التي تلت، وبسبب الصور غير اللائقة والمضلّة والمؤذية التي نشرها مؤلفون لوثريون عن معيدي المعمودية الأنابابتسيون، سواء على الصعيد الشعبي أو العلمي إلى يومنا هذا.[٩٠]

[89] Jan Willebrands, Lecture to the 5th Assembly of the Lutheran World Federation, on 15 July 1970, in *La Documentation Catholique* (6 September 1970), 766.

[90] Action on the Legacy of Lutheran Persecution of 'Anabaptists at www.lwf-assembly.org/uploads/media/Mennonite_Statement-EN_04.pdf.

الفصل السادس

خمسة أمور تفرضها علينا الحركة المسكونية

٢٣٨. يدرك الكاثوليك واللوثريون أنهم هم ومجتمعاتهم التي يحيون إيمانهم فيها ينتمون إلى جسد المسيح الواحد. وثمة اليوم وعيّ عند اللوثريين والكاثوليك بأن نزاعات القرن السادس عشر قد انتهت. وقد انتهت أيضاً أسباب الإدانة المتبادلة بين كلا الجانبين. لهذا يحدد اللوثريون والكاثوليك خمسة أمور ملحّة وهم يحيون معاً الذكرى عام ٢٠١٧ .

٢٣٩. إن اللوثريين والكاثوليك مدعوّون إلى التفكير من منظور وحدة جسد المسيح، وإلى البحث عن كل ما يؤدي إلى التعبير عنها وذلك لخدمة جماعة جسد المسيح. ومن خلال المعمودية يعترفون بعضهم بعض كمسيحيين. ويقتضي هذا التوجُّه تغييراً مستمراً في قلوبنا.

الفريضة الأولى: ينبغي أن يبدأ الكاثوليك واللوثريون دائماً من منظور الوحدة وليس من منظور الانقسام، وذلك لتقوية ما هو مشترك بينهم، على الرغم من أنه من الأسهل أحياناً ملاحظة الاختلافات.

٢٤٠. عرّف المذهبان الكاثوليكي واللوثري ذاتهما على مرّ التاريخ على أنهما الواحد ضد الآخر، وعانى أتباعهما من الانحياز أحدهم ضد الآخر، ويستمّر هذا الأمر حتى هذا اليوم عند مواجهة إشكاليات معينة مثل موضوع السلطة. بما أن المشاكل تنشأ من النزاع ، فإنه يمكن حلّها أو التعامل معها على الأقل فقط من خلال جهود مشتركة لتعميق الشركة بينهما وتقويتها. يحتاج الكاثوليك واللوثريون إلى معرفة الآخر وتشجيعه ونقده الهادف.

الفريضة الثانية: على اللوثريين والكاثوليك السماح لأنفسهم بأن يتغيروا بشكل مستمر، وذلك من خلال اللقاء بينهم والشهادة المتبادلة للإيمان.

٢٤١. وتعلّم الكاثوليك واللوثريون من خلال الحوار قدراً كبيراً، وتوصلوا إلى الحقيقة أنه يمكن أن تأخذ الشركة بينها أشكالاً ودرجات مختلفة. وبالنسبة إلى العام ٢٠١٧ ينبغي أن يجددوا جهودهم مع الشكر لله لما أُنجز حتى الآن، وبالصبر والمثابرة إذ قد تكون الطريق أطول من المتوقع، وبالحماس الذي لن يسمح لهم أن يشعروا بالاكتفاء لما تمّ حتى الآن، وبالمحبة بعضهم لبعض حتى في أوقات الاختلاف والنزاع، وبالإيمان بالروح القدس، وبالرجاء بأن الروح سوف يستجيب لصلاة يسوع إلى الآب، وبالصلاة الحارّة كي تتحقّق الوحدة.

الفريضة الثالثة: على الكاثوليك واللوثريين أن يلزموا أنفسهم دائماً من جديد بالبحث عن الوحدة الظاهرة، وأن يدرسوا معاً ماذا يعني ذلك عملياً، وأن يجتهدوا على نحو مستمر لتحقيق هذا الهدف.

٢٤٢. على الكاثوليك واللوثريين أن يبيّنوا دائماً وباستمرار لأعضاء كنائسهم مفهوم الإنجيل والإيمان المسيحي، والتقاليد القديمة للكنيسة. والتحدي الذي نواجهه اليوم هو أن نمنع هذه القراءة الجديدة للتقليد من أن تعيدنا إلى زمن النزاعات العقائدية.

الفريضة الرابعة: ينبغي للّوثريين والكاثوليك أن يعيدوا معاً اكتشاف قوة إنجيل يسوع المسيح لوقتنا هذا.

٢٤٣. لا يخدم العمل المسكوني في سبيل الوحدة الكنيسةَ وحدها ولكن العالم برمته، وذلك في سبيل أن يؤمن العالم. والمهمة الإرسالية المسكونية ستصبح أقوى حين نؤصل مجتمعاتنا في التعددية الدينية. والمطلوب هنا إعادة التفكير والتجدُّد.

الفريضة الخامسة: يجب أن يشهد الكاثوليك واللوثريون معاً لرحمة الله من خلال نشر الكلمة وخدمة العالم.

٢٤٤. تساعد هذه المسيرة المسكونية اللوثريين والكاثوليك على أن يقدروا معاً مساهمة مارتن لوثر في حدسه واختباره الروحي لإنجيل برّ الله، الذي هو رحمة الله. ففي المقدمة التي قدّم بها أعماله باللاتينية (١٥٤٥) قال إنه "برحمة الله، وبالتأمل ليل نهار" قد اكتسب فهماً جديداً للآية في رومية ١:١٧. "هنا شعرت أنني ولدت من جديد تماما ودخلت الفردوس من الأبواب المفتوحة. وعند ذلك كشف الكتاب المقدس وجهه الآخر لي وأراني نفسه... ثم قرأت لأوغسطين كتاب "الروح والحرف"، حيث وجدت وبعكس ما توقعت أنه هو أيضاً قد فسّر برّ الله بطريقة مشابهة، كالبرّ الذي يلبسنا الله إياه عندما يبررنا".[٩١]

٢٤٥. سيتمّ إحياء ذكرى الإصلاح بحقّ عندما يسمع اللوثريون والكاثوليك معاً إنجيل يسوع المسيح ويسمحون لأنفسهم أن يُدعَوا مجدداً إلى شركة مع الرب. عندها سيتحدون في إرسالية مشتركة يصفها البيان المشترك حول عقيدة التبرير كالتالي: "يشترك اللوثريون والكاثوليك في هدف الاعتراف بالمسيح جهاراً في جميع الأمور، وهو وحده الذي يستحق الثقة به فوق كل شيء على أنه الوسيط الوحيد بين الله والناس (١ تيموثاوس ٢:٥) وبه يعطينا الله نفسه بالروح القدس ويفيض فينا مواهبه التي تجددنا" (*JDDJ* 18).

[91] Luther, Preface to the Complete Edition of Luther's Latin Writings, tr. Lewis W. Spitz, Sr., in *LW* 34:337; *WA* 54; 186, 3.8–10.16–18.

Abbreviations

AAS	Acta Apostolicae Sedis
ApC	*The Apostolicity of the Church: Study Document of the Lutheran-Roman Catholic Commission on Unity* (2006)
Apol.	Apology of the Augsburg Confession (1530)
AS	Smalcald Articles (1537)
BC	*The Book of Concord: The Confessions of the Evangelical Lutheran Church* (Minneapolis, MN: Fortress, 2000)
BSLK	*Die Bekenntnisschriften der evangelisch-lutherischen Kirche* (Göttingen, 1930; 10th ed. 1986)
CA	Augsburg Confession
can.	Canon
CD	Vatican II: Decree on the Pastoral Office of Bishops in the Church, *Christus Dominus*
DH	H. Denzinger and P. Hünermann (eds), *Enchiridion symbolorum definitionum et declarationum de rebus fidei et morum* (Freiburg, 2001)
DV	Vatican II: Dogmatic Constitution *Dei Verbum*
Epit.	Epitome (Formula of Concord)
Eucharist	*The Eucharist: Final Report of the Joint Roman Catholic-Lutheran Commission* (1978)
FC	Formula of Concord (1577)
JDDJ	*Joint Declaration on the Doctrine of Justification* (1999)
LC	M. Luther, Large Catechism (1529)
LG	Vatican II: Dogmatic Constitution on the Church, *Lumen Gentium*
LW	*Luther's Works,* American Edition, ed. J. Pelikan and H. T. Lehmann, 54 vols (Philadelphia and St. Louis, 1955–1986)
LWF	The Lutheran World Federation
Ministry	*Ministry in the Church,* Lutheran-Roman Catholic Conversation, 1981.
PO	Vatican II: Decree on the Ministry and Life of Priests, *Presbyterorum Ordinis*
SC	Vatican II: Constitution on the Sacred Liturgy, *Sacrosanctum Concilium*
SmC	M. Luther, Small Catechism (1529)
STh	Thomas Aquinas, *Summa Theologiae,* Latin/Engl., Blackfriars (London and New York, 1963)
UR	Vatican II: Decree on Ecumenism, *Unitatis Redintegratio*
WA	D. Martin Luthers Werke (Weimar, 1883ff.) (Weimarer Ausgabe)
WAB	D. Martin Luthers Werke–Briefwechsel (Weimar, 1930ff.)

Common Statements of the Lutheran–Roman Catholic Commission on Unity

Phase I (1967–1972)

The Gospel and the Church (Malta Report – 1972)

Phase II (1973–1984)

The Eucharist (1978)

All Under One Christ (1980)

Ways to Community (1980)

The Ministry in the Church (1981)

Martin Luther – Witness to Christ (1983)

Facing Unity – Models, Forms and Phases of Catholic-Lutheran Church Fellowship (1984)

Phase III (1986–1993)

Church and Justification (1993)

Phase IV (1995–2006)

The Apostolicity of the Church (2006)

«Joint Declaration on the Doctrine of Justification» signed by

representatives of the Catholic Church and the Lutheran World Federation, 31 October 1999.

Lutheran–Roman Catholic Commission on Unity

Lutherans

Members

Bishop emeritus Dr Eero Huovinen (Co-Chair), Finland

Rev. Prof. Dr Wanda Deifelt, Brazil

Dr Sandra Gintere, Latvia

Prof. Dr Turid Karlsen Seim, Norway

Rev. Dr Fidon R. Mwombeki, Tanzania

Prof. Dr Friederike Nüssel, Germany

Prof. Dr Michael Root, USA (2009)

Rev. Prof. Dr Hiroshi Augustine Suzuki, Japan

Rev. Prof. Dr Ronald F. Thiemann, USA (2010–2012†)

Consultant

Rev. Prof. Dr Theodor Dieter, Institute for Ecumenical Research, Strasbourg

Staff

(The Lutheran World Federation)

Prof. Dr Kathryn L. Johnson, Co-Secretary

Roman Catholics

Members

Bishop Prof. Dr Gerhard Ludwig Müller (Co-Chair), Germany (2009–2012)

Bishop Prof. Dr Kurt Koch, Switzerland (2009)

Auxiliary Bishop Prof. Dr Karlheinz Diez, Germany (2012–)

Rev. Prof. Dr Michel Fédou, S.J., France

Rev. Prof. Dr Angelo Maffeis, Italy

Prof. Dr Thomas Söding, Germany

Prof. Dr Christian D. Washburn, USA

Prof. Dr Susan K. Wood, SCL, USA

Consultants

Prof. Dr Eva-Maria Faber, Switzerland

Prof. Dr Wolfgang Thönissen, Johann-Adam-Möhler-Institut für Ökumenik, Germany

Staff

(Pontifical Council for Promoting Christian Unity)

Mons. Dr Matthias Türk, Co-Secretary

الاتحاد اللوثري العالمي

الكنيسة الإنجيلية اللوثرية
في الأردن والأراضي المقدسة